

بسم الله الرحمن الرحيم  
كشف الخفاء عما اشتبه فيه الواو بالفاء من آي القرآن

د/ الجيلي علي أحمد بلال  
جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية  
كلية القرآن الكريم  
قسم القراءات

## ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه المصطفى الأمين، سيدنا محمد، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد، فهذا بحث دفعني إليه ما شاهدته من اشتباه بعض آيات القرآن حين تلاوتها. وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ الصافات: ٢٧ وقوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ الصافات: ٥٠. فألفاظ الآيتين يتشابهان في كل شيء، إلا أن إحداها صُدِّرت بحرف الواو والأخرى بحرف الفاء. وهنا يُبحث: عن سبب اختصاص الحرف بالموضع الذي جاء فيه؟

**أهمية البحث:** يبرز البحث وجهاً من وجوه الإعجاز البياني، حيث يكشف سر الآيات المشتبهة لفظاً، فكان بعضها بالفاء وبعضها بالواو؛ ليبين أن ذلك كان لحِكْمٍ وأسرار عظيمة.

### أهداف البحث:

- ١- التعرف على الآيات المشتبهة ألفاظها، ولا تختلف إلا بإبدال الواو فيها بالفاء.
- ٢- التحقق من أن ما ورد فيها بالواو لا يصلح فيه الفاء، وما ورد بالفاء لا يصلح فيه الواو، وهو سر الإعجاز.
- ٣- تسهيل الحفظ والاستدكار على حفظة القرآن؛ إذ يمكنهم تمييز ما اشتبه لفظه حين يدركون وجه ذلك.

### خطة البحث:

- التقديم له بتمهيد، يتناول أهم الفروق بين معاني الواو والفاء.
- استقراء كل المواضع التي اتفقت في كثير من مقاطعها، وكان اشتباهها بسبب الواو والفاء.
- تقسيم البحث، بناءً على ما يلي الواو والفاء، فانحصر في فصلين: أحدهما للأفعال، والآخر للأسماء.
- تقسيم فصل الأفعال إلى أنواعها الثلاثة: الأمر والماضي والمضارع، فاندرج في ثلاثة مباحث.
- تقسيم فصل الاسماء إلى مبحثين: ما كان اسم موصول، أو أداة تكثير.
- اشتمل كل مبحث على مطالب، واشتملت المطالب على مسائل؛ فبلغت مسائله تسعاً وعشرين مسألة.
- ومنهجي في البحث: أتي أستقرئ مواضع الاشتباه، ثم أحدد كل مسألة منها، وأذكر الآيات المشتبهة فيها، ثم أنظر معانيها في المصادر المختصة بتوجيه المتشابهات، وفي كتب التفسير التي لها عناية بدقائق الألفاظ، مع الاستعانة بكتب اللغة والبلاغة وحروف المعاني.
- ثم إنني أوازن بين الآراء المختلفة، وأحاول الترجيح بناءً على ما يفهم من سياق الآيات ومدلولات الألفاظ، فإن أغفلت في كتب السابقين اجتهدت رأيي، مستعيناً بالله، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

## تمهيد: الفروق بين معاني الواو والفاء

لَمَّا كَانَ الْاِشْتِبَاهُ الْمَقْصُودُ - فِي هَذَا الْبَحْثِ - يَنْشَأُ عِنْدَ حَفْظَةِ الْقُرْآنِ، بِسَبَبِ الْوَاوِ وَالْفَاءِ، كَانَ لَا بَدَّ مِنَ التَّعَرُّفِ عَلَى أَهَمِّ مَعَانِيهِمَا، وَأَوْجِهَ الْاِتِّفَاقِ وَالْاِخْتِلَافِ بَيْنَهُمَا؛ حَتَّى نَدْرِكَ الْفُرُوقَ الدَّقِيقَةَ، الَّتِي جَعَلَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تَخْتَصُّ بِالْمَكَانِ الَّذِي ذُكِّرَتْ فِيهِ وَلَا تَصْلُحُ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي جَاءَتْ فِيهِ نَظِيرَتُهَا.

### أولاً: أهم الفروق بينهما:

○ العطف في الواو يفيد مطلق الجمع، أي: إنه يحتل ثلاثة معاني: المعية والترتيب وعكسه، فحين تقول: جاء محمد وعليّ: احتمل مجيئهما معاً، ومجيء محمد أولاً، ومجيء عليّ أولاً، ولا دلالة فيه على الترتيب على ما حققه البصريون، خلافاً للكوفيين<sup>١</sup>. أما العطف في الفاء: يفيد الترتيب والتعقيب وقد يفيد السببية<sup>٢</sup>: تقول جاء محمد فعليّ؛ فدل على مجيء محمد أولاً، وتقول: ضربه فقتله؛ فدلّ على أن القتل سببه الضرب.

○ الواو تأتي للحال، وتأتي للقسم وتأتي بمعنى (مع)<sup>٣</sup>. والفاء لا يكون فيها ذلك.

○ الفاء تكون رابطة للجواب<sup>٤</sup>، نحو: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ البقرة: ٢٧١.

### ثانياً: المعاني المشتركة بين الواو والفاء:

(١) كل منهما يُشْرِكُ الْمَعْطُوفَ وَالْمَعْطُوفَ عَلَيْهِ فِي الْفِظِّ وَالْمَعْنَى: تقول: جاءت فاطمة وهند، أو جاءت فاطمة فهند، فاشتركا لفظاً في التأنيث والرفع، ومعنى في المجيء.

(٢) وكل منهما يدل على الاستئناف: والمراد به -على التحقيق-: الانقطاع لفظاً، لا معنى، فلا يخرج عن العطف. **وبيانه في الواو:** قولهم: الرفع في: ﴿وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ﴾ الحج: ٥، دالّ على الاستئناف؛ إذ لو أراد العطف لانتصب<sup>٥</sup>، فبان أنهم يقصدون انقطاعه لفظاً؛ لأنه متصل بما قبله معنىً. وكذلك الفاء في الاستئناف تكون للعطف، على ما حققه ابن هشام: ففي قوله: ألم تسأل الرّبع القوّاء فينطق، يقدرّون كلمة (هو) ليعينوا أن المعتمد بالعطف الجملة لا الفعل<sup>٦</sup>، أي: فهو ينطق. فظهر أن المراد بالاستئناف فيهما: الانقطاع لفظاً لا معنىً.

(٣) وقال الكوفيون والأخفش وجماعة بزيادة الواو، وأجاز بعضهم زيادة الفاء، ولا يثبت سببونه<sup>٧</sup>.

<sup>١</sup> انظر: الكتاب لسببويه ٤٣٨/١، ومعنى اللبيب لابن هشام ٤٠٨/٢، ووصف المباني للمالقي ص ٤٧٣.

<sup>٢</sup> انظر: معنى اللبيب ١٨٣/١ - ١٨٥.

<sup>٣</sup> انظر: معنى اللبيب ٤١٤/٢ - ٤١٥، ووصف المباني ٤٨٠ - ٤٨٣.

<sup>٤</sup> انظر: معنى اللبيب ١٨٦/١.

<sup>٥</sup> انظر: وصف المباني ص ٤٤٠ و ٤٧٦.

<sup>٦</sup> انظر: معنى اللبيب، ٤١٤/٢.

<sup>٧</sup> انظر: معنى اللبيب، ١٩٠/١. والبيت لجميل وهو من شواهد الكتاب لسببويه، ٣٧/٣.

<sup>٨</sup> انظر: معنى اللبيب ٤١٧/٢ و ١٨٨/١.

وللزيادة فيها تأويلات تُخرجها عنها، "فلا ينبغي أن تُجعل الزيادة معنى خاصاً بها"<sup>٩</sup>.

## الفصل الأول: ما جاء فيه - بعد الواو والفاء - فعلٌ

والفعل إما: فعل أمر أو ماضٍ أو مضارع، فانتظم في ثلاثة مباحث:

### المبحث الأول: ما جاء فيه - بعد الواو والفاء - فعلٌ أمر

وهو إما أمرٌ للواحد أو الاثنين أو الجماعة؛ فهذه ثلاثة مطالب:

**المطلب الأول: أمر الواحد، وهو مسألتان:**

#### المسألة الأولى: (فَاصِرٌ - وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ)

جاءت بالواو في قوله تعالى: ﴿ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ الطور: ٤٨. وجاءت بالفاء في

موضعين: الأول: ﴿ فَاصِرٌ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴾ القلم: ٤٨. والثاني: ﴿ فَاصِرٌ لِحُكْمِ رَبِّكَ

وَلَا تَطَّعْ مِنْهُمْ إِثْمًا أَوْ كُفُورًا ﴾ الإنسان: ٢٤. وهي من المسائل التي أهملتها المصادر الموجهة للمتشابهات.

أما موضع الطور: فقد عطف فيه: ﴿ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾ على: ﴿ فَذَرَهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴾ الطور:

٤٥. لأنَّ أهل مكة، لما بلغوا من العناد ذروته؛ حتى قال الله فيهم: ﴿ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ ﴾

الطور: ٤٤، قال الله لنبيه؛ تفريعاً على عنادهم: (فَذَرَهُمْ)، أي: اترك عرض الآيات عليهم؛ لأنهم لا يقترحون تلك

الآيات طلباً للحجة، وإنما هم يكابرون<sup>١٠</sup>. ثم عطف عليه أمره بالصبر لحكم ربه، فكانت الواو هي التي تؤدي ذلك.

وأما موضع القلم: فقد تقدّمه مزاعمُ المشركين ومطاعنهم في القرآن، وكان ذلك شديداً على النبي عليه السلام، فحتى

لا يحصل له اليأس، وحتى لا يضجر ويستعجل كما استعجل صاحب الحوت، أمره الله بالصبر لحكم ربه، أي: على

أعباء الرسالة، فكانت الفاء هي التي تفيد هذا التفريع<sup>١١</sup>، خاصةً وأن نهيهم عن أن يكون كصاحب الحوت، بمثابة التعليل

للسبر الذي أمره به، أي: فلا تستعجل وتضجر كما فعل صاحب الحوت، بل فاصبر لحكم ربك، والله أعلم.

وأما سورة الإنسان: فإن قوله (فاصبر) بالفاء مفرّج على ما قبله، وهو قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ﴾

الإنسان: ٢٣، الذي دلّ فيه فعل (نزلنا) على نزوله منجماً، وفيه إيماء إلى حكمة نزوله مفرّقاً، الذي اتخذهُ المشركون

شبهة ليشككوا في أنه من عند الله. أي: إذا كان الله هو الذي نزل عليك القرآن، وأمرك بتبليغه، فاصبر لحكم ربك،

أي: على أعباء الرسالة، وما تلقاه من أذى المشركين<sup>١٢</sup>. وهذا هو موضع الفاء، ولا يصلح له الواو.

<sup>٩</sup> رصف المباني، ص ٤٤٩.

<sup>١٠</sup> انظر: التحرير والتنوير، ٨٠/٢٧.

<sup>١١</sup> انظر: المصدر نفسه، ١٠٤/٢٩.

<sup>١٢</sup> انظر: المصدر نفسه، ٤٠٢/٢٩ و ٤٠٣.

## المسألة الثانية: (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ - وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى)

جاءت بالفاء في قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ﴾ الصافات: ١٧٤. وجاءت بالواو في قوله تعالى: ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ﴾ الصافات: ١٧٨. هذه المسألة مهملة في جميع ما وقفنا عليه من المصادر التي لها عناية بتوجيه المتشابهات. أما موضع الفاء: فمفترع على ما سبق من تسليمة النبي صلى الله عليه وسلم<sup>١٣</sup>، في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْغُرُسِيِّينَ ﴿٧١﴾ إِنَّهُمْ لَكُفَّارُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِن جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٧٣﴾﴾ الصافات: ١٧١ - ١٧٣. أي: قد علمت أن الله وعد رسله بالنصر والغلبة، فتولَّ عنهم، أي: لا تهتم بما يقولونه ولا تنكد من إعراضهم. وهذا ظاهرٌ أنه موضع الفاء. وأما الثانية التي بالواو فمعطوفة على قوله تعالى: ﴿أَفِعْدَابًا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ الصافات: ١٧٦؛ "لأن معنى المعطوف عليها: الوعدُ بأن الله سينتقم منهم؛ فعطف عليه أمره رسوله - صلى الله عليه وسلم - بأن لا يهتم بعنادهم"<sup>١٤</sup>. وكانت الواو هي التي تؤدي هذا الغرض؛ إذ ليس فيه تعقيب ولا تسبب ولا ترتيب على سابقه. والله أعلم.

**المطلب الثاني: أمر الاثنين، وهو مسألة واحدة:**

### (وَكَلَا - فَكَلَا)

جاءت بالواو في قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ البقرة: ٣٥، وجاءت بالفاء في قوله تعالى: ﴿وَيَتَّكِدُمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكَلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ الأعراف: ١٩. قيل: إن ما في الأعراف خطابٌ لهما قبل الدخول، وما في البقرة خطابٌ لهما بعد الدخول، وذلك لأن الأمر بالدخول يستدعي أن يترتب عليه الأكل، بخلاف الأمر بالسكن؛ ولذا فسّر قوله (اسكن) في الأعراف بمعنى: ادخله واسكن<sup>١٥</sup>. وقيل: إن ما في البقرة: فُصد به مجرد الإخبار والإعلام لرسولنا الكريم بما جرى في قصة آدم وابتداء خلقه، وأمر الملائكة بالسجود له، وما جرى من استكبار إبليس عن السجود، ثم أمر آدم بسكنى الجنة والأكل منها، ولم يقصد غير التعريف بذلك من غير ترتيب زمني ولا تحديد غاية، فناسبته الواو، وأن آية الأعراف مقصودها تعداد نعم الله على آدم وذريته؛ فناسبته الفاء الدالة على الترتيب<sup>١٦</sup>.

وأرجع بعضهم ذلك لاختلاف معنى (اسكن) فيهما: ففي البقرة معناه: الإقامة التي تستدعي زماناً ممتداً فناسبها الواو، أي: اجمع بين الإقامة فيها والأكل من ثمارها. وما في الأعراف معناه: السكنى، التي تدل على اتخاذ الموضع مسكناً،

<sup>١٣</sup> انظر: التحرير والتنوير ١٩٥/٢٣.

<sup>١٤</sup> انظر: التحرير والتنوير ١٩٨/٢٣.

<sup>١٥</sup> انظر درة التنزيل ص ١١.

<sup>١٦</sup> انظر: ملاك التأويل ٢٨/١ و٢٩.

ولا يستدعي زماناً ممتداً، والأكل يقع عقبيه لا معه. ويدل عليه خطاب الله لآدم بعد طرد إبليس: ﴿ قَالَ أَخْرَجْ مِنْهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴾ أي: اتخذنا لأنفسكما مسكناً فكلما من حيث شئتما<sup>١٧</sup>.

ووجهه بعضهم بأنه لما زاد في البقرة (رغداً) - ومعناه الواسع الرفه - كان محلاً للواو؛ لأنه لا تحجير فيه؛ إذ يصير كالواجب الموسع، وفي الأعراف لَمَّا لم يذكر هذا القيد عطف بالفاء؛ تنبيهاً على أن الجنة محل الراحة، فلا يُكَلَّفُ داخلها بعبادة. وقيل: جاءت بالفاء؛ رعايةً للتناسب مع ما قبلها، الذي دخلته الفاء: (فاهبط منها) (فما يكون لك...) (فيما أغويتني) (فوسوس). وحيث لم يكن في البقرة كذلك عُطف بالواو<sup>١٨</sup>.

والذي أراه أن موضع البقرة جاء بلفظ الحكاية (وقلنا..). وهو عطف لنعم متعددة على بني آدم؛ فناسبه الواو، وأما موضع الأعراف فجاء الخطاب فيه مباشرةً لآدم عليه السلام (ويا آدم)، وذلك بعد طرد إبليس اللعين من الجنة وإخراجه منها مَذْمُومًا مَدْحُورًا؛ فدَلَّ على أن هذا أول خطاب لهما بدخول الجنة، ولهذا رتب عليه إباحة الأكل لهما عقبيه، بل قد يكون فيه معنى التسبيب؛ لأن توجيه الخطاب إليهما بعد طرد إبليس يوحي بذلك، فصلحت له الفاء. والله أعلم.

### المطلب الثالث: أمر الجماعة

#### مسألة: (كُلُوا - وَكُلُوا)

عُطِفَ بالفاء في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَتَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ البقرة: ٥٨ ، وعُطِفَ بالواو في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَاَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَتَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ الأعراف: ١٦١.

اتفقت كلمة الموجهين - الذين اطلعت على مصنفاتهم - أن آية البقرة إنما كانت بالفاء؛ لأنهم أمرؤ بدخول القرية، والأكل لا يكون مصاحباً للدخول وإنما يكون عقبه، وهو موضع الفاء. وأن آية الأعراف إنما كانت بالواو؛ لأنهم أمرؤ بالسكنى، وهذه زمانها ممتد؛ فلا يكون الأكل عقبه، وإنما يكون مصاحباً له؛ فكان الواو هو الذي يُحْرَزُ هذا المعنى<sup>١٩</sup>.

### المبحث الثاني: ما جاء فيه - بعد الواو والفاء - فعل ماضٍ.

وهو: إما تسبقة أداة نفي أو شرطٍ أو ظرف، أو يكون مجرداً عنها، والمجرد عنها: إما جامد من أفعال المدح والذم، وإما غيرها؛ فانتظم في خمسة مطالب:

<sup>١٧</sup> انظر: البرهان في توجيه متشابه القرآن، للكرماني ص ٧٠ و ٧١. وانظر: كشف المعاني في المتشابه من المثاني، لابن جماعة ص ٩٢ و ٩٣.

<sup>١٨</sup> انظر: قطف الأزهار في كشف الأسرار، جلال الدين السيوطي ١/ ٢٣٢ و ٢٣٣.

<sup>١٩</sup> انظر: ملاك التأويل لابن الزبير ٣٦/١ و ٣٧، والبرهان للكرماني ص ٧٢ و ٧٣، وكشف المعاني لابن جماعة ٩٦ و ٩٧، وفتح الرحمن لتركيب الأنصاري ص ٢٦.

المطلب الأول: الماضي الذي سبقته أداة النفي، وهو مسألان:

المسألة الأولى: (وَمَا كَانَتْ - فَمَا كَانَتْ)

جاءت مسبوقة بالواو في قصة لوط عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ

مِّن قَرَيْبِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْظَهُرُونَ﴾ الأعراف: ٨٢. وجاءت مسبوقة بالفاء - في قصته كذلك - في موضعين:

الأول: ﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرَيْبِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْظَهُرُونَ﴾ النمل: ٥٦.

والثاني: ﴿أَيِّنْكُمْ لَمَّا تَأْتُوا الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا

أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ العنكبوت: ٢٩.

وجاءت مسبوقة بالفاء في قصة إبراهيم عليه السلام: ﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَجَبَهُ

اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ العنكبوت: ٢٤.

أما ما سبقته الواو - في سورة الأعراف - فقد وجهوه بأنه تقدمه اسم، وهو (مُسْرِفُونَ) في قوله تعالى: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ

مُسْرِفُونَ﴾ الأعراف: ٨١، قالوا: والاسم لا يناسبه التعقيب. وأما الموضوعان الآخران في قصة لوط عليه السلام، فقد

سبقهما فعل، وهو (تجهلون) في قوله تعالى: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ يَّجْهَلُونَ﴾ النمل: ٥٥، و(تقطعون) و(تأتون) في آية

العنكبوت. قالوا: والفعل يناسبه التعقيب<sup>٢٠</sup>. أي: إن الجملة الفعلية تكون مسوَّغاً لتقدير معنى السببية، بخلاف الجملة

الاسمية<sup>٢١</sup>. قالوا: "والواو والفاء جائزتان في الموضوعين، إلا أنه يُختار حيث جاء الأصل الذي وُضعت الفاء فيه؛ لتوجب

ما بعدها لوجود ما قبلها، وهو الفعل، واختيرت الواو حيث كان الملفوظ به الاسم؛ ليُفرق بين الموضوعين، فيختار لكل

ما هو أليق به؛ إذ ليس الاسم أصلاً فيما جعلت الفاء للجواب فيه"<sup>٢٢</sup>. وقيل: هي تفيده تعقيب جزء القصة على أوله،

فلا تفيده إلا تعقيب الإخبار، فهي مساوية للواو في ذلك، وإنما أوتر حرف التعقيب هنا تفنناً في الحكاية، ومراعاةً

لنظيرها في قصة ثمود: ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ النمل: ٢٤٥.

وكل ما قيل، نُظِر فيه للفظ دون المعنى، وفاتهم أن العبارتين مختلفتان. والذي أراه: أن لوطاً - عليه السلام - كرر لهم

الوعظ، فقال لهم أولاً: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾، فلم يبادروا بجوابهم بإخراجه، حتى قال لهم: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ يَّجْهَلُونَ﴾

فبادروه بجوابهم بإخراجه، فكان ذلك رداً على قوليه جميعاً: فأتت الفاء عقب العبارة الأخيرة منهما؛ للدلالة على

<sup>٢٠</sup> انظر البرهان للكرمانلي ص ١٢٥، وفتح الرحمن لذكريا الأنصاري ص ٢٠٠.

<sup>٢١</sup> انظر: ملاك التأويل ٢١٠/١ و ٢١١.

<sup>٢٢</sup> درة التنزيل وغرة التأويل ١٦٢.

<sup>٢٣</sup> انظر: التحرير والتنوير ٥/٢٠.

التعقيب، وجاءت الواو بعد الأولى منهما؛ لعدم التعقيب مع إفادتها المصاحبة. وهذا من دقائق التعبير القرآني؛ فإنه لو جاء بالفاء فيهما، لاقتضى التعقيب بعد العبارتين، فيكون مشكلاً.

وأما في سورة العنكبوت، فإن قولهم (أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ) كان عقب قوله لهم: (أَيُّكُمْ لَتَأْتُونَكَ الرِّجَالُ وَتَقَطَّعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ)، أي: إنهم - بعد أنكر عليهم إتيان الفاحشة - بادروه بطلب العذاب؛ فناسبته الفاء. وأما ما جاء في قصة إبراهيم عليه السلام، فلم أعر على توجيه له في المصادر التي لها عناية بذلك. وقد ذكر صاحب التحرير والتنوير<sup>٢٤</sup> أنها تفرع على جملة: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَنْقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ العنكبوت: ١٦، فهو - عليه السلام - أمرهم بعبادة الله وحده وتقواه، وبيّن لهم ما هم فيه من الضلال بعبادتهم الأوثان.. ولكنهم قابلوا ذلك بتواطئهم على قتله أو إحراقه؛ فكان هذا هو جوابهم لدعوته، وهذا هو التفرع الذي عناه صاحب التحرير. ولا شك أن التفرع يناسبه الفاء.

### المسألة الثانية: (وَمَا كَانُوا - فَمَا كَانُوا)

جاءت بالواو في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونََ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ يونس: ١٣. وبالفاء في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الْقُرَى نَفُصٌ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبِيَآئِهَا وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ الأعراف: ١٠١، وفي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾ يونس: ٧٤.

لم تذكر المصادر، التي لها عناية بتوجيه المتشابهات اللفظية، هذه المسألة، إلا ما كان من الكرمانى، حيث قال باقتضاب: "قوله: (وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا)، بالواو؛ لأنه معطوف على قوله (ظَلَمُوا)، من قوله (لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ). وفي غيرها بالفاء للتعقيب"<sup>٢٥</sup>. وإذا كانت عطفاً كانت تفسيراً للمعطوف؛ لأن عدم تصديقهم للأنبياء هو الظلم كله، ويجوز أن يكون اعتراضاً، فيكون تأكيداً لمضمون الجملة وهو الهلاك لما يستحقون من الإجمام؛ لأن مثل هذا الإهلاك لا يكون إلا لمن لا يؤمنون<sup>٢٦</sup>. ومعنى (وما كانوا ليؤمنوا) أي: "أهلكناهم؛ لعلمنا أنهم لا يؤمنون: يخوف كفار مكة

<sup>٢٤</sup> طاهر بن عاشور ٢٠/٢٣٤.

<sup>٢٥</sup> البرهان ص ١٣٩.

<sup>٢٦</sup> انظر: فتوح الغيب للطبي ١١/٤٤١.

عذاب الأمم الماضية<sup>٢٧</sup>. أي: إن الله أهلك القرون من قبل بسبب ظلمهم ولعلمه بإصرارهم على عدم الإيمان، فتكون جملة (وما كانوا ليؤمنوا) معطوفة على (ظلموا). وقد وضح بهذا أن الواو هي الأنسب بها.

وأما موضع الأعراف: فقد جاءت الفاء فيه؛ لترتيب الإخبار بانتفاء إيمانهم عن الإخبار بمجيء الرسل إليهم، الذي كان ينبغي أن يحملهم على الإيمان<sup>٢٨</sup>. أي: إن الله تعالى يخبرنا عن استمرار عدم إيمانهم بما كذبوا به من قبل، بعد مجيء الرسل إليهم، الذي كان ينبغي أن يحملهم على الإيمان، ولكنهم لتصلبهم في الكفر -الذي علمهم الله منهم -استمروا في عدم إيمانهم. والاستمرار على الفعل -بعد ورود ما يوجب الإقلاع عنه -هو تجديد للفعل، فيكون بمثابة الفعل الجديد، تقول: وعظته فلم ينزجر، ودعوته فلم يُجِبْ<sup>٢٩</sup>، ولهذا صلحت له الفاء. وكذلك موضع يونس الآخر: فإن الإخبار عن استمرار عدم إيمانهم في الزمان الماضي مُرتب على مجيء الرسل إليهم، وبدلاً من أن ينصاعوا للرسل ويصدقوهم، استمروا في عنادهم وتكذيبهم، وذلك بإصرارهم على عدم الإيمان<sup>٣٠</sup>. ويلاحظ أن (ما كانوا ليؤمنوا) جاء -في موضعي الفاء -مقيّداً بتكذيبهم السابق، بخلافه في الأعراف، فقد نفى عنهم مطلق الإيمان. وأحسب أن هذا هو الذي جعل الخبر فيهما مرتباً بالفاء؛ لأنه يدل على تكرار الموعظة لهم، بخلافه في الأعراف؛ لأن هلاك أولئك كان بسبب ظلمهم وبعلم الله بإصرارهم على عدم الإيمان بعد مجيء الرسل؛ فناسبتة الواو. والله أعلم.

**المطلب الثاني: الماضي الذي سبقته أداة شرط، وهو مسألة واحدة:**

**مسألة: (وَإِذَا - فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ)**

عُظِفَتْ بِالْوَاوِ فِي مَوْضِعَيْنِ: الأول: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبَيْهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يونس: ١٢. والثاني: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا حَوَلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلٍ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ الزمر: ٨. وعُظِفَتْ بِالْفَاءِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا حَوَلَتْهُ نِعْمَةٌ مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِن أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الزمر: ٤٩.

هذه المسألة مهمة في كل مصادر توجيه المتشابهات التي اطلعت عليها، ولكن فطن الزمخشري لوجه الفاء في الموضع الآخر من سورة الزمر، وأتى فيها بكلام حسن، وتبعه من بعده من المفسرين: حيث بين أنها وقعت مسببة عن قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾

<sup>٢٧</sup> تفسير القرطبي [المجلد الرابع] ٣١٨/٨.

<sup>٢٨</sup> التحرير والتنوير: ٣٠/٩.

<sup>٢٩</sup> انظر: تفسير أبي السعود ٢٥٥/٣.

<sup>٣٠</sup> انظر: تفسير أبي السعود ١٦٦/٤.

الزمر: ٤٥ ، "على معنى: أنهم يشمئزون عن ذكر الله، ويستبشرون بذكر الآلهة؛ فإذا مس أحدهم ضرٌّ دعا من اشتمأز من ذكره، دون من استبشر بذكره"<sup>٣١</sup>.

وهذا الكلام مرتب على ما سبق؛ فناسبته الفاء، والغرض منه التهكم والتحقيق مع ذمهم بالمنافضة والتعكيس، ولذا قالوا: إن في الفاء استعارة تبعية تهكمية<sup>٣٢</sup>.

أما آية الزمر الأولى: " فلم تقع مسببة، وما هي إلا جملة ناسبت جملة قبلها فعطفت عليها بالواو، كقولك: قام زيدٌ وقعد عمرو"<sup>٣٣</sup>. والجملة المعطوفة عليها هي: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ الزمر: ٦؛ لاشتراكهما في تفرد الله بالتصرف بالملك، حتى إن المشركين ليضطرون لتوحيده حين يمسهم الضر، ولكنهم يعرضون في حال النعمة<sup>٣٤</sup>. ويجوز أن تكون معطوفة على جملة: ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ الزمر: ٧؛ لاشتراكهما في الإشارة إلى كفران الإنسان وقلة ثباته، "ويجوز أن تكون الواو استئنافية، والجملة تذييلية"<sup>٣٥</sup>. وسواءً كانت معطوفة أو استئنافية، فإن المناسب لها هو الواو دون الفاء.

وكذلك سورة يونس صُدرت بالواو؛ لأنها معطوفة على قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتَعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ﴾ يونس: ١١؛ إذ بين الحق سبحانه - في هذه الآية - وجه تأخير عذاب الاستئصال عنهم، وإرجاء جزائهم للآخرة، وفي الآية المعطوفة بين حالهم حين يمسهم ضرٌّ وحين يكشف عنهم. والغرض منهما هو الاعتبار بأحوال المشركين الذميمة؛ تنفيراً من الوقوع في أمثالها<sup>٣٦</sup>. وجاء (الضر) معرفاً؛ إشارةً إلى (الشر) في الآية قبلها<sup>٣٧</sup>.

**المطلب الثالث: الماضي المصدّر بالظرف، وهو ثلاث مسائل:**

**المسألة الأولى: (وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا - فَلَمَّا)**

عُطفت بالواو في موضعين، الأول: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ هود: ٥٨، والثاني: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جَنِّيمِينَ﴾ هود: ٩٤.

<sup>٣١</sup> فتوح الغيب للطبي ٤٠٤/١٣.

<sup>٣٢</sup> انظر: روح المعاني للألوسي ١٢/٢٤.

<sup>٣٣</sup> هذا قول الزمخشري، انظر: فتوح الغيب ٤٠٦/١٣.

<sup>٣٤</sup> انظر: التحرير والتنوير ٢٤٢/٢٣.

<sup>٣٥</sup> فتوح الغيب ٤٠٥/١٣.

<sup>٣٦</sup> انظر معاني ما ذكرته في التحرير والتنوير ١٠٩/١١، مع تقديم وتأخير واختصار بقصد التوضيح.

<sup>٣٧</sup> انظر البرهان للكرماني ص ١٣٩.

وعُظفت بالفاء في موضعين، إلا أن أحدهما ليس فيه (بَجَيْنَا): الأول: ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا بَجَيْنَا صَدِّحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِن خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾ هود: ٦٦.

والثاني: ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَنِهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنصُودٍ ﴾ هود: ٨٢. يُلاحظ أنه جاء بالفاء في قصتي صالح ولوط، وجاء بالواو في قصتي هود وشعيب. وعللوا ذلك بأن العذاب في قصة هود وشعيب تأخر عن وقت الوعيد، وفي قصة صالح ولوط وقع العذاب عقب الوعيد.

وبيان ذلك في قصة هود: أن هوداً -عليه السلام- قال لقومه: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا ﴾ هود: ٥٧، فقد اكتفى بتحذيرهم، ولم يتوعدهم بعذاب قريب يقتضي ربطه بالفاء، فكانت الواو هي الأنسب به. وكذلك قصة شعيب، خاطبهم بقوله: ﴿ وَيَقَوْمٍ أَعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَأَرْتَقِبُواْ إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴾ هود: ٩٣، فلم يتقدمها ما يدل على قرب العذاب منهم، وإنما خوفهم به، ولذا عُظف بالواو؛ لعدم مناسبة الفاء له.

وأما قصة صالح: فقد تقدمها قوله تعالى: ﴿ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ﴾ هود: ٦٥، فناسبها الفاء، كأنه قيل: فلما انقضت، فالتعقيب ظاهر فيها. ومثلها قصة لوط: حيث أخبره الرسل بوقت العذاب: ﴿ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ هود: ٨١. وهو يقتضي تقدير الفاء؛ تحقيقاً لوعده الله تعالى، أي: فلما أصبح<sup>٣٨</sup>.

#### المسألة الثانية: (ولمَّا جهَّزهم - فلَمَّا جهَّزهم)

عظفت بالواو في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ قَالَ أَتُنُونِي بِأَخٍ لَّكُمْ مِّنْ آبِكُمْ أَلَّا تَرَوْنَ أَنِّي أُوْفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴾ يوسف: ٥٩، وعظفت بالفاء في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتْهَا الْعِيزُ إِنَّكُمْ لَسَّرْتُمْ ﴾ يوسف: ٧٠.

أما الموضع الأول فقد جاء معطوفاً على قوله تعالى: ﴿ وَجَاءَ إِخْوَةَ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ ﴾ يوسف: ٥٨. ولما كان هذا أول مجيئهم إلى يوسف؛ ناسبته الواو الدالة على الاستئناف. وأما الموضع الآخر، فقد ذُكر عند انصرافهم عنه، عطفاً على قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُونُسَ ﴾ يوسف: ٦٩؛ فناسبته الفاء الدالة على الترتيب والتعقيب<sup>٣٩</sup>.

<sup>٣٨</sup> اتفقت معظم المصادر على هذه التوجيهات بعبارات مختلفة: انظر: درة التنزيل للخطيب ٢٣٤ وما بعدها، وملاك التأويل لابن الزبير ٢٥٨/٢، والبرهان للكرامي ص ١٤٥، وكشف المعاني لابن جماعة ص ٢١٤، وفتح الرحمن لذكرى الأنصاري ص ٢٦٧.

<sup>٣٩</sup> انفرد الشيخ ذكرى الأنصاري بهذه المعاني التي ذكرتها، وأهلقتها بقية المصادر التي لها عناية بتوجيه المتشابهات. انظر: فتح الرحمن ص ٢٧٩.

### المسألة الثالثة: (ولمَّا دخلوا - فلمَّا دخلوا)

عُطِفَتْ بِالوَاوِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَأْوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يوسف: ٦٩، وعُطِفَتْ بِالْفَاءِ فِي مَوْضِعِينَ: الْأَوَّلُ: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلْنَا الصَّرُّ وَحِثْنَا بِبِضْعَةٍ مُرْجِحَةٍ فَأَوْفٍ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ يوسف: ٨٨.

وَالثَّانِي: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَأْوَىٰ إِلَيْهِ أَبُوهُ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَأْمِنِينَ﴾ يوسف: ٩٩. هذه المسألة مُغْفَلَةٌ فِي كُلِّ مَا اطَّلَعْتُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوَاقِفِ الْمَعْنِيَةِ بِتَوْجِيهِهِ الْمَتَشَابِهَاتِ. وَأَنَا ذَاكِرٌ فِيهَا - بِعَوْنِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ - مَا ظَهَرَ لِي مِنَ السِّيَاقِ، وَمَا ذَكَرَهُ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ فِي حُرُوفِ الرِّبْطِ فِيهَا.

أَمَّا الْأَوَّلَى: فَقَدْ عُطِفَتْ جَمَلَةٌ دَخَلُوهُمْ عَلَى يُوسُفَ، عَلَى جَمَلَةٍ كَيْفِيَّةٍ دَخَلُوهُمْ الَّتِي كَانَتْ طَبَقًا لِتَوْجِيهَاتِ أَبِيهِمْ: أَنْ يَدْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ. وَلِذَا فَهِيَ غَيْرُ مُتَرْتَبَةٍ عَلَيْهَا وَلَا مُسَبِّبَةٌ عَنْهَا؛ فَنَاسِبُهَا الْوَاوُ.

وَأَمَّا الثَّانِيَّةُ: "فَالْفَاءُ عَاطِفَةٌ عَلَى كَلَامٍ مُقَدَّرٌ دَلٌّ عَلَيْهِ الْمَقَامُ، أَيُّ: فَارْتَحِلُوا إِلَى مِصْرَ بِقَصْدِ اسْتِطْلَاقِ بَنِيَامِينَ مِنْ عَزِيزِ مِصْرَ، ثُمَّ بِالْتَعَرُّضِ إِلَى التَّحَسُّسِ مِنْ يُوسُفَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، فَوَصَلُوا مِصْرَ، فَدَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ، فَلَمَّا دَخَلُوا...".<sup>٤٠</sup> وَكَذَلِكَ الثَّلَاثَةُ؛ فَإِنَّهُ قَدْ طَوَى ذَكَرَ سَفَرَهُمْ مِنْ بِلَادِهِمْ إِلَى دَخُولِهِمْ عَلَى يُوسُفَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَمَا نَبِهَ عَلَى ذَلِكَ ابْنُ عَاشُورٍ<sup>٤١</sup>، وَهُوَ - وَإِنْ لَمْ يَذْكَرْ وَجْهَ الْفَاءِ فِيهِ - إِلَّا أَنَّهُ وَاضِحٌ مِمَّا ذَكَرَهُ. أَيُّ: إِنَّهُمْ ارْتَحَلُوا مِنْ بِلَادِهِمْ حَتَّى وَصَلُوا مِصْرَ، فَدَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ...، فَهَذَا مَكَانُهُ الْفَاءُ، كَمَا لَا يَخْفَى. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

### المطلب الرابع: الماضي من أفعال المدح والذم، المجرد من الأدوات. وهو مسألتان:

#### المسألة الأولى: (ونعم - فنعم)

جَاءَتْ بِالوَاوِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ جَزَاءُهم مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهم وَجَنَّتْ تُجَرِّى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ﴾ آل عمران: ١٣٦، وبالفاء في قوله تعالى ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ﴾ الزمر: ٧٤.

أَغْفَلْتُ مَوَاقِفَ تَوْجِيهِهِ الْمَتَشَابِهَاتِ مَوْضِعَ الزَّمْرِ، الَّذِي هُوَ بِالْفَاءِ، وَكَانَ تَوْجِيهِهِمْ لِمَوْضِعِ آلِ عِمْرَانَ بِالوَاوِ، مُقَارِنًا مَعَ مَوْضِعِ الْعَنْكَبُوتِ: ٥٨ بِحَذْفِ الْوَاوِ، وَهُوَ خَارِجٌ نِطَاقَ بَحْثِنَا؛ لِأَنَّهُ يَتَنَاوَلُ مَا اشْتَبَهَ بِالْوَصْلِ وَالْفَصْلِ مِنَ الْآيَاتِ.

<sup>٤٠</sup> التحرير والتنوير ٤٦/١٣.

<sup>٤١</sup> انظر: التحرير والتنوير ٥٥/١٣.

أما موضع آل عمران، فقد ذكروا فيه: أن "الواو للعطف على (جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ)"، فهو من عطف الإنشاء على الإخبار، وهو كثير في فصيح الكلام<sup>٤٢</sup>.

وأما موضع الزمر فإنه جاء معطوفاً بالفاء؛ وذلك لمعنى لطيف ظهر لي، وهو: أن الآية تصور مشهداً من مشاهد أهل الجنة، حين استقروا فيها، ورأوا صِدْقَ وَعِدِ اللَّهِ لَهُمْ جَزَاءً عَلَى أَعْمَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا، بما أكرمهم به من النعيم، فرتبوا عليه ثناءهم على هذا الجزاء العظيم، يقولون: هذا ما وعدنا ربُّنا على جميل أعمالنا، فنعم أجرُ العاملين. وهذا من الترتيب الذكري الذي تفيده الفاء في عطف الجمل: بأن يكون المذكور بعدها كلاماً مرتباً على ما قبلها، "فإنَّ ذِكْرَ ذِمِّ الشَّيْءِ أَوْ مَدْحِهِ يَصِحُّ بَعْدَ جَرِيِّ اسْمِهِ"<sup>٤٣</sup>. وبهذا يظهر لنا الفرق بينه وبين موضع آل عمران، فثناؤهم هنا مرتب على ما تحقق لهم مما وعدوا به، وفي تلك كانت مدحاً من الله لهم، عطفاً على ما أخبر الله به من جزائهم، ولم يكن من قولهم. هذا ما ظهر لي، والله أعلم بأسرار كتابه.

### المسألة الثانية: (فَيْئَسَ - وَيَيْئَسُ) [الْقَرَارُ، الْمَهَادُ، الْمَصِيرُ]:

وهي ثلاثة أنواع، بناءً على اختلاف فاعلها: فجاءت (بئس القرار) في موضعين: أحدهما بالفاء [ص: ٦٠]، والآخر بالواو [إبراهيم: ٢٩]، وجاءت (بئس المهاد) في أربعة مواضع: أحدها بالفاء [ص: ٥٦] وثلاثة بالواو: [آل عمران: ١٢، ١٩٧، الرعد: ١٨]، وجاءت (بئس المصير) في عشرة مواضع: واحدٌ منها بالفاء [المجادلة: ٨]، وتسعة بالواو: [البقرة: ١٢٦، آل عمران: ١٦٢، الأنفال: ١٦، التوبة: ٧٣، الحج: ٧٢، الحديد: ١٥، التغابن: ١٠، التحريم: ٩، الملك: ٦]. ونسبةً لكثرة هذه الآيات الواردة بالواو، فقد اقتصرنا على توجيه واحدة من كل نوع منها، مع توجيه كل ما ورد بالفاء<sup>٤٤</sup>. وهذه من المسائل المهملة في كتب توجيه المتشابهات.

أما قوله تعالى: ﴿قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدْ مَتَمُّوهُ لَنَا فَيَيْئَسُ الْقَرَارُ﴾ ص: ٦٠: فهو من قول الأتباع لرؤسائهم في الكفر حين أقحموا في النار؛ وسمعوا عبارة عدم الترحيب بهم، فواجهوا رؤسائهم بقولهم: أنتم أولى بعدم الترحيب منا؛ لأنكم أنتم الذي أوقعتمونا فيما أوصلنا لهذا المال، ولذا رتبوا عليه ذمهم لهذا القرار، أي: المقر، وهو جهنم. كأنهم يقولون لهم: فئس ما أوقعتمونا فيه بسبب تزيينهم الكفر لنا. ولما كان هذا الكلام معللاً بما قبله صلحت له الفاء. وأما الواو في نظيرتها: ﴿جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا وَيَبْسُ الْقَرَارُ﴾ إبراهيم: ٢٩، فهي معطوفة على (يصلونها) أو حال من جهنم، أي: بئس القرار هي<sup>٤٥</sup>. وعلى الوجهين فالواو هي الصالحة لها؛ إذ ليس فيها تعقيب ولا تسبيب.

<sup>٤٢</sup> التحرير والتنوير ٩٥/٤.

<sup>٤٣</sup> هذا ما فطن إليه الدماميني في شرح مغني اللبيب ص ٨٠٨.

<sup>٤٤</sup> عثرت على هذه المسألة بعد الفراغ من البحث؛ فكان ذلك سبب اقتصاري على بعض مواضعها خشية التطويل.

<sup>٤٥</sup> انظر: التحرير والتنوير ٢٣٠/١٣.

وأما التي فاعلها (المهاد) فجاءت بالفاء في قوله تعالى: ﴿ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فِئْسَ الْمَهَادُ ﴾ ص: ٥٦، والفاء فيه؛ "الترتيب الإخبار وتسميه على ما قبله"، "والمعنى: جهنم يصلونها، فيتسبب على ذلك أن نذكر ذم هذا المقر لهم. وعبر عن جهنم ب(المهاد) على وجه الاستعارة: شبه ما هم فيه من النار من تحتهم بالمهاد، وهو فراش النائم"<sup>٤٦</sup>.

أما موضع آل عمران ١٢: ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْمَهَادُ ﴾: فقد "عطف (بنس المهاد) على (ستغلبون) عطف الإنشاء على الخبر"<sup>٤٧</sup>.

وأما التي فاعلها (المصير)، فجاءت بالفاء في: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ التَّجْوِي ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْآثِمِ وَالْعَادُونَ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُكُمْ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ المجادلة: ٨، لأنه "تفريع على الوعيد بشأن ذم جهنم"<sup>٤٨</sup>. وفيه معنى التسبب كذلك؛ لأن هؤلاء المنافقين استبطأوا عذاب الله، فبين الله لهم أنهم تكفيهم جهنم، فبئس المصير مصيرهم هذا الذي سيصيرون إليه.

وأما المواضع الأخرى التي جاءت بالواو فنذكر منها: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنْ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴾ البقرة: ١٢٦، فلم ترتبط بما قبلها ارتباط السبب أو التعقيب، وإنما جاءت الواو اعتراضاً أو للحال"<sup>٤٩</sup>.

**المطلب الخامس: الماضي المجرد من الأدوات من غير أفعال المدح والذم، وهو ست مسائل:**

### المسألة الأولى: (وَأَتَّخَذَ سَبِيلَهُ - فَأَتَّخَذَ)

عُطِفَتْ بِالْفَاءِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴾ الكهف: ٦١. وعُطِفَتْ بِالْوَاوِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ، وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ الكهف: ٦٣.

أما الآية الأولى: فإن اتخاذا الحوت سبيله في البحر كان عقب نسيانها؛ فناسبته الفاء الدالة على التعقيب والعطف، وأما الآية الأخرى: فقد حيل بينهما بقوله: (وَمَا أَنسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ)، فزال معنى التعقيب؛ فناسبه الواو"<sup>٥٠</sup>. وهنا لا بد من ملاحظة أن النسيان في الأولى غيره في الثانية: فمعنى نسيانها الحوت في الأولى: أنهما نسيا أن يراقبا حاله: أباق في مكنته أم لا؛ لأن افتقاده جعل علامة للقاء العبد الصالح، ولهذا كان انقلاؤه في البحر عقيب نسيانها

<sup>٤٦</sup> التحرير والتنوير ٢٣/٢٨٥.

<sup>٤٧</sup> التحرير والتنوير ٣/١٧٦.

<sup>٤٨</sup> التحرير والتنوير: ٢٨/٣٢.

<sup>٤٩</sup> انظر: المصدر نفسه: ١/٧١٧.

<sup>٥٠</sup> انظر: البرهان للكرمانى ص ١٧٠.

تفقدته، فكانت الفاء أنسب له. وأما النسيان الثاني فكان خاصاً بغلام موسى؛ لأنه نسي أن يخبر موسى عليه السلام -وقد كان نائماً- بانفلات الحوت في البحر، فهو يحكي قصة نسيانه، ثم عطف عليه اتخاذ الحوت سبيله في البحر<sup>٥١</sup>.

### المسألة الثانية: (وَجِئْتَهُ وَأَهْلَهُ، فَجِئْتَهُ)

عُطِفَتْ بِالْوَاوِ فِي الصَّافَاتِ: ﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَجِئْتَهُ وَأَهْلَهُ مِنْ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾. وَعُطِفَتْ بِالْفَاءِ فِي الْأَنْبِيَاءِ: ٧٦: ﴿وَنُوْحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلٍ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، فَجِئْتَهُ وَأَهْلَهُ مِنْ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ﴾. لم أجد من ذكر وجه الواو والفاء في الآيتين. ولكي نتعرف على وجههما، علينا أولاً تدبر كل آية في سياقها الذي نزلت فيه: أما موضع الأنبياء، فإنه جاء في سياق نصر الرسل وصدق وعد الله لهم، وكانت الإشارة لذلك بدءاً من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ صَدَقْتَهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾ الأنبياء: ٩، ثم بين عاقبة المستهزئين بالرسول: ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَأُ بِرُسُلِ مِّنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ الأنبياء: ٤١، ثم ذكر من قصص الأنبياء ما يدل على نجاتهم ونصرهم وتحقيق وعد الله بإهلاك المكذبين، ثم ذكر نداء نوح عليه السلام، أي: دعاءه ربه، فبين استجابته له حين دعا، ثم عقب ذلك بذكر نجاته. أي: إن استجابته له كانت بسبب دعائه، ونجائه كانت عقب الاستجابة له. فأنت ترى أن المقصود من هذه الآية هو صدق وعد الله لنبيه نوح عليه السلام، فكانت الفاء هي التي تدل على هذا التعقيب.

وأما آية الصافات: فإنها جاءت في سياق ضلال أكثر الأولين، وكيف كانت عاقبتهم حين كذبوا من أنذروهم، وكيف كان عاقبة المخلصين من الرسل وأتباعهم: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُّنْذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَأَنْظَرَكَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذِرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾. وبدأ بقصة نوح عليه السلام، وذكر نداءه، وفخم أمره؛ إذ نسبه إلى نفسه بنون العظمة (نَادَيْنَا). وهو يخالف ما ذكر في الأنبياء: (وَنُوْحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلٍ)، فلم ينسبه هناك لنفسه. ثم فخم أمر الإجابة بقوله: (فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ)، وكان في الأخرى (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ). قال الإمام الرازي: "وهذه اللفظة [أي: فلنعم المجيبون] تدل على أن تلك الإجابة كانت من النعم العظيمة"، وذلك أنه عبّر عنه بصيغة الجمع (نَادَيْنَا)، وأعاده بذات الصيغة: (فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ)، وأنّ الفاء دلّت على ترتب الإجابة على ذلك النداء<sup>٥٢</sup>. ووجوه الإنعام دلت عليها الآيات بعد: وهي نجائه وأهله من الكرب العظيم، وحصر العالم في ذريته، وتبقيّة ذكره الحسن في السنة العالمين<sup>٥٣</sup>.

<sup>٥١</sup> انظر: التحرير والتنوير ٣٦٦/١٥ و٣٦٧.

<sup>٥٢</sup> انظر تفسير الرازي: ١٤٤/٢٦ و١٤٥.

<sup>٥٣</sup> انظر: المصدر نفسه ١٤٦/٢٦.

وبهذا يظهر لنا: أن المقصود في الصفات هو تعداد هذه النعم العظيمة، فكانت الواو هي التي تؤدي ذلك، وأما في الأنبياء، فقد جاءت القصة مُقتضبة في سياق استجابة الله لدعاء رسله. وثمة فرق آخر يظهر بين الموضعين: وهو اختلاف الفعلين في الصفات: (نعم) و(نجيناه)، فالأول فعلٌ جامدٌ، وقد فصل فاعله بينهما، بخلاف موضع الأنبياء، فإنه عطف على (فاستجبنا)، وهو فعل مثله غير جامد، ولم يُفصل فيه بين المتعاطفين، مما حسنَ عطفه عليه بالفاء. والله أعلم بأسرار كتابه.

### المسألة الثالثة: (وَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ - فَتَقَطَّعُوا)

عُطِفَ بِالْوَاوِ فِي الْأَنْبِيَاءِ: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ۗ﴾ (١١) وَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَهِنَا مَبْعُوثٌ ﴿١٣﴾، وَعُطِفَ بِالْفَاءِ فِي الْمُؤْمِنِينَ: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ۗ﴾ (٥٢) فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾.

علينا أولاً أن ننظر في سياق الموضعين، ثم ننظر بمِ وَجْهٍ به الموجهون؟ أما السياق فيتضح لنا مما يأتي: أولاً: في سورة الأنبياء، ذكر الله أخبار الأنبياء بعد ما مهد لهم بآيات مجملية؛ تسليّة لرسوله محمد، صلى الله عليه وسلم وعلى سائر الأنبياء. وهذه الآيات الممهدة هي: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (الأنبياء: ٧)، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: ٢٥)، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رِيسُلًا مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (الأنبياء: ٤١). ثم ذكر الأنبياء حتى ختمهم بعبادة الله عليه السلام. ثم بين الحق - سبحانه - وحدة هذه الدين لجميع هؤلاء الرسل وأممهم، بقوله: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ بمعنى: أنهم جميعاً مأمورون بتوحيد الله وحده وإخلاص العبادة له. ثم عطف عليه بالواو: ﴿وَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَهِنَا مَبْعُوثٌ﴾.

ثانياً: في سورة المؤمنون: ذكر الله عدداً من الأنبياء، حتى ختمهم بعبادة الله (صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً)، ثم خاطب الله جميع الرسل وأمرهم أن يأكلوا من الطيبات ويعملوا صالحاً، وأنه بما يعملون عليهم، ثم عطف عليه: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ (المؤمنون: ٥٢)، ثم عطف عليه بالفاء: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾. ولاحظ: أن هذه زيدت فيها كلمة (زُبُرًا)، وخلا منها موضع الأنبياء، وأن الآية السابقة لهذه جاء الأمر فيها بالتقوى، وفي تلك الأمر بالعبادة.

ومن هنا يتضح الفرق بين السياقين: فإن إخبار الرسل لأقوامهم بأن هذه أمتكم أمةً واحدة، لم يأت مصرحاً به أنه من قول الرسل في سورة الأنبياء. ولهذا عطف تقطع أممهم وتفرقتهم عن دين التوحيد بالواو؛ لأن منهم من تفرقت قبل إخبار الرسل: منهم من عبد الله وحده، ومنهم من عبد معه غيره، وبعضهم لا يعبد، فلم يكن ما بعد الواو مرتباً على ما

قبلها؛ فلم تصلح له الفاء<sup>٥٤</sup>. وأما موضع (المؤمنون): فإن الخطاب للرسول، وأقوامهم تبع لهم في الخطاب، فلما بينوا لأقوامهم أن دينهم هذا هو دين التوحيد، الذي لا يصح غيره، ما لبث قومهم أن تفرقوا، واتخذوا آلهة من دون الله. فالفاء هنا تفيد التعقيب، الذي يفهم منه ذمهم عليه. وهي أيضاً "قد تفيد معنى التفرع: أي: تفرع على ما أمرناهم به من التوحيد: أنهم أتوا بعكس المطلوب منهم، فيفيد الكلام -زيادة على الذم -تعجبياً من حالهم<sup>٥٥</sup>".

ومن خلال ما ذكر في السياق قريباً، نلاحظ: أن آية الأنبياء ذكر فيها تقطع الأمم وتفرقهم في دينهم، ولم يزد، وفي (المؤمنون) بين كيفية التقطع بكلمة (زُجراً). وفي ذلك ملمح لطيف: وهو أن الأمم المذكورة في سورة الأنبياء هي جميع الأمم، وأن تفرقهم كان بعضه قبل إرسال الرسل، وبعضه بعده، ولم يكونوا جميعاً أهل كتاب، حتى تكون لهم كتب يتفرقون بسببها. وأما موضع (المؤمنون) فقد جاء بعد خطاب الرسل، وكان منهم أهل كتاب؛ فلما جاءهم الرسل بالدين الحق ما لبثوا أن فرقوا دينهم، بسبب إيمان بعضهم ببعض الكتب دون بعض، فأهل التوراة يكفرون بما في الإنجيل والقرآن، وأهل الإنجيل يكفرون بما التوراة والقرآن<sup>٥٦</sup>. ولهذا فإني أرجح أن المقصود من هؤلاء الذين فرقوا دينهم زُجراً، هم أهل الكتاب. وكان تفرقهم عقب إخبار الرسل لهم بأن أمتهم أمة واحدة، فصلحت فيه الفاء. ومما يشهد لذلك: أن الأولى جاء فيها الأمر بالعبادة؛ لأنها كانت عامة لجميع الأمم، وكلهم مأمورون بعبادة الله وحده، وأن الأخرى جاء الأمر فيها بالتقوى (فاتقون)؛ خطاباً للرسول ومتبعيه من المؤمنين؛ لأن الذين فرقوا دينهم كانوا مؤمنين؛ فهم أهل كتاب، فلم يؤمروا بالتوحيد، وإنما أمروا بالتقوى. وهذا كله من دقة التعبير القرآني. والله أعلم.

#### المسألة الرابعة: ( وَقَالَ الْمَلَأُ - فَقَالَ )

جاءت الواو في موضعين: الأول: ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِن آتَيْتُم شَيْئًا لَنَكْفُرَنَّ إِذَا لَخِيسِرُونَ ﴾ الأعراف: ٩٠، والثاني: ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾ المؤمنون: ٣٣. وجاءت الفاء في موضعين: الأول: ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرْبِكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرْبِكَ أَتَبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَن يُكْفِرُوا مِنْ قَوْمِهِمْ فَمَا نَرْبِكَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾ هود: ٢٧، والثاني: ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴾ المؤمنون: ٢٤.

<sup>٥٤</sup> انظر: درة التنزيل، للخطيب ٣٠٤.

<sup>٥٥</sup> التحرير والتنوير ٧٢/١٨.

<sup>٥٦</sup> انظر: درة التنزيل ٣٠٦.

أما في الأعراف: فإنه معطوف على ما قبله، وهم الملائمة من قوم شعيب: فبعد انتهاء محاورتهم لقبولهم أقبولوا على عامة قومهم يحدروهم من اتباع شعيب، بعد أن أعيتهم المجادلة ورأوا سطوع دعوته، فأرادوا بذلك صد عامتهم عن دعوته، مهددين لهم بالخسارة<sup>٥٧</sup>. ولهذا عطف بالواو، ولم يفصل، أي: لم يُحذف منه حرف العطف؛ لأنه ليس داخلاً في محاوراتهم، ولم تصلح له الفاء؛ لعدم ترتيبه عليه أو تسببه عنه.

وأما موضع المؤمنون الأول [آ ٢٤]: فقد جاء مخالفاً لأسلوب القرآن في حكاية المحاورات بغير العطف<sup>٥٨</sup>؛ فعطف بالفاء لوجهين: - كما يقول صاحب التحرير والتنوير - أحدهما: أن كلامهم لم يُوجّه لنبئهم، وإنما وجهوه لقومهم، وثانيهما: لأنهم أسرعوا بتكذيبه وتزييف دعوته قبل النظر؛ فكانت الفاء مفيدة لهذا التعقيب<sup>٥٩</sup>.

وفي موضع المؤمنون الثاني [آ ٣٣]: عطف حكاية قول القوم على حكاية قول رسولهم بالواو، فخالفت أسلوب القرآن في حكاية المحاورات التي تكون بغير حرف العطف؛ وذلك لأنهم وجهوا الكلام لقومهم، محاولين صددهم عن دعوة نبئهم. وإنما كان بالواو دون الفاء؛ لأن قولهم هنا كان متأخراً عن وقت مقالة رسولهم، أي: حينما استمرّ نبئهم في دعوته وجهوا مقاتلتهم لقومهم، ولأن كلام رسولهم لم يُحك بصيغة القول، بل (أن) التفسيرية<sup>٦٠</sup>: ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ المؤمنون: ٣٢، أي: لم يناسبه حذف حرف العطف، كما في أسلوب المحاورات.

وأما موضع هود [٢٧]: فعطف بالفاء على فعل (أرسلنا)؛ للإشارة إلى أنهم بادروه بالتكذيب والمجادلة الباطلة كما قال لهم (إني لكم نذير مبين)<sup>٦١</sup>.

### المسألة الخامسة: (وَأَقْبَلَ - فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ)

عطف بالواو في قوله تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَسَاءَ لَوْنَ﴾ بالصفات: ٢٧، وبالطور: ٢٥. وعطف بالفاء في قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَسَاءَ لَوْنَ﴾ الصافات: ٥٠، وفي قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتْلُونَ﴾ القلم: ٣٠. أما موضع الصفات الأول، فمعطوف على (مستسلمون) من قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾ الصافات: ٢٦، أي: استسلموا وعاد بعضهم على بعض باللائمة<sup>٦٢</sup>. وهذا مجرد عطف لأحوالهم في ذلك اليوم؛ فناسبه الواو.

<sup>٥٧</sup> انظر: التحرير والتنوير ١٢/٩.

<sup>٥٨</sup> يرى ابن عاشور: أن حرف العطف يُحذف في حكاية المحاورات في القرآن. وقال: "وهذا مما لم أسبق إلى كشفه من أساليب الاستعمال العربي". [التحرير والتنوير ٤٠/١].

<sup>٥٩</sup> انظر: التحرير والتنوير ٤١/١٨.

<sup>٦٠</sup> انظر: المصدر نفسه ٥١/١٨.

<sup>٦١</sup> انظر: المصدر نفسه ٤٥/١٢.

<sup>٦٢</sup> انظر التحرير والتنوير ١٠٣/٢٣.

وأما موضع الصفات الثاني: فمعطوف على (يُطَافُ) من قوله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ الصفات: ٤٥، أي: يشربون فيتحدثون على الشراب<sup>٦٣</sup>. وكان العطف بالفاء الدالة على التفريع؛ لأن شأن المتجالسين في مسرة أن يتذكروا مع أصحابهم، وهؤلاء حين رأوا ما صاروا إليه من النعيم، تذكروا المجادلين لهم من منكري البعث؛ فحدثوا بذلك جلساءهم؛ فحكى الله إقبال بعضهم على بعض بالمساءلة بفاء التعقيب<sup>٦٤</sup>. أي: إن إقبال بعضهم على بعض بالمساءلة كان عقب تذكرهم لأحوالهم في الدنيا، وأحوال من يجادلونهم، فكانت الفاء هنا هي التي تفيد ذلك.

وشبيهة بهذا موضع القلم: فهو من كلام أصحاب الجنة باليمن، لما رأوها كالصريم، وندموا على ما كان منهم، ووصف الله حالهم وتحسرهم، ثم وصف إقبال بعضهم على بعض بالملامة<sup>٦٥</sup>.

وهذه المسألة أغفلتها المصادر الموجهة للمتشابهات اللفظية، ولم يذكرها إلا صاحب البرهان، وفاته موضع الطور؛ فلم يذكره. ولتوجيهه: ننظر إلى سياق الآيات قبله، فنجد أن قوله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكَوْنٌ﴾ الطور: ٢٤، معطوف على: ﴿يَنْزِعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْتِيمٌ﴾ الطور: ٢٣. قال ابن عاشور: "فهو من تمامه وواقع موقع الحال مثله"<sup>٦٦</sup>. وهو يرى كذلك أن قوله تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ عطف على: ﴿يَنْزِعُونَ فِيهَا كَأْسًا﴾، والتقدير عنده: "وقد أقبل بعضهم على بعض يتساءلون، أي: هم في تلك الأحوال قد أقبل بعضهم على بعض يتساءلون"<sup>٦٧</sup>. وإذا كان الأمر كذلك، فإن هذه الواو عاطفة لهذه الأحوال بعضها على بعض. وبهذا يتبين لنا: أن الواو هنا أنسب من الفاء؛ إذ ليس في إقبال بعضهم على بعض من تعقيب ولا ترتيب ولا تسبب مما قبله، فلم تصلح له الفاء. وتساؤلهم هنا تساؤل غبطة وسرور بما نجاهم الله منه مما كانوا منه مشفقين في الدنيا. وهذا التساؤل يصدر من كل واحد منهم، أي: يكون كل بعض سائلاً ومسؤولاً<sup>٦٨</sup>. وهذا هو الفرق بين ما هنا وموضع الصفات الثاني، الذي جاء فيه معطوفاً بالفاء، رغم تشابه الحالتين في النعيم، أعني: أن موضع الصفات كان السؤال فيه عن أشخاص معينين، فالسائل غير المسؤول: ألا ترى أنه أخبر عن من كان يصدده عن الإيمان؟ وليس سؤال الآخر له كهذا؛ لاختلاف الأحوال. وأما في الطور فالجميع سائل ومسؤول؛ لأنهم متساوون في خشيتهم وإشفاقهم من هذا اليوم، عندما كانوا في الدنيا، وكلهم مسرورون بما هم فيه من النعيم. هذا ما ظهر لي، والله أعلم.

<sup>٦٣</sup> انظر تفسير أبي السعود ١٩١/٧.

<sup>٦٤</sup> انظر التحرير والتنوير ١١٥/٢٣.

<sup>٦٥</sup> انظر: البرهان للكرمي ٢١٣.

<sup>٦٦</sup> التحرير والتنوير ٥٤/٢٧.

<sup>٦٧</sup> المرجع نفسه ٥٦/٢٧.

<sup>٦٨</sup> انظر هذا المعنى في تفسير أبي السعود ١٤٩/٨.

## المسألة السادسة: (وَقَالَ - فَقَالَ الْكَافِرُونَ)

جاءت بالواو في قوله تعالى: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ ﴿ص: ٤.

وبالفاء في قوله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿ق: ٢.

أما في ص: فقد فُصد به الإخبار بجملة من مرتكبات الكفار: منها: أنهم في عزة وشقاق، ومنها عَجِبَهُمْ من مجيء منذر من جنسهم، ومنها رميهم له بالسحر والكذب، ومنها تعجبهم من جعل الآلهة إلهاً واحداً وغيرها. فلما كان القصد منها الإخبار، جاءت معطوفة على بعضها بالواو، التي لا تقتضي ترتيباً ولا تعقيماً<sup>٦٩</sup>. وأما في ق: فإنه تفسيراً لتعجبهم، وبيان لكونه مقارناً لغاية الإنكار، مع زيادة تفصيل لمحل التعجب؛ فعُطف بالفاء؛ لوقوعه بعده وتفرعه عليه؛ لأنه إذا أنكر المبعوث أنكر ما بُعث به أيضاً<sup>٧٠</sup>. وعليه: فاتصاله بما قبله في سورة ص معنوي، "وهو: أنهم عجبوا من مجيء المنذر، وقالوا: هذا المنذر ساحر كذاب، واتصاله في (ق) معنوي ولفظي، وهو: أنهم عجبوا فقالوا (هذا شيء عجيب)؛ فراعى المطابقة والعجز والصدر، وختم بما بدأ به، وهو النهاية في البلاغة"<sup>٧١</sup>.

### المبحث الثالث: ما جاء فيه بعد الواو والفاء فعل مضارع

وهو إما مسبوقة بأداة نهي أو نفي، أو شرط، أو مجرد عنها، فانتهى إلى أربعة مطالب:

المطلب الأول: ما سبقته أداة نهي، وهو مسألان:

#### المسألة الأولى: (وَلَا تُعْجِبْكَ - فَلَا تُعْجِبْكَ)

عطف بالفاء في قوله تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ التوبة: ٥٥. وعطف بالواو في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ التوبة: ٨٥.

الآية الأولى مسبوقة بقوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ﴾ التوبة: ٥٤، فهي تصف أحوال المنافقين في كفرهم: كيف أنهم لا يأتون الصلاة إلا على كسل، ولا ينفقون إلا على إكراه، فهي تتحدث عن قوم أحياء، لأن الأفعال (يأتون) و(ينفقون) مستقبلية؛ ولهذا تضمنت معنى الشرط، فكان ما بعد الفاء بمعنى الجزاء، كأنه قيل: إن اتصفوا بهذه الصفات من الكسل في الصلاة وكراهية النفقات، فلا تعجبك أموالهم.

<sup>٦٩</sup> انظر: ملاك التأويل ٤١٤/٢.

<sup>٧٠</sup> انظر: روح المعاني للألوسي ١٧٢/٢٦.

<sup>٧١</sup> البرهان للكرمانى، ص ٢١٦، وانظر فتح الرحمن لكريا الأنصاري ص ٤٨٦.

وأما الآية الأخرى فمبسوطة بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَكَيْفُوتٌ ﴾ التوبة: ٨٤: فهي في قوم أموات، يدل عليه قوله (وماتوا)؛ ولهذا لم يكن فيها معنى الشرط حتى يكون ما بعد الفاء جزاءً له، فناسبه الواو، ولا يصلح له الفاء<sup>٧٢</sup>.

### المسألة الثانية: (وَلَا يَحْزُنُكَ - فَلَا يَحْزُنُكَ)

عطف الجملة بالواو في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ يونس: ٦٥، وعطف بالفاء في قوله تعالى: ﴿ فَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ يس: ٧٦. في سورة يونس: هي معطوفة على قوله تعالى: ﴿ الْآيَاتِ أُولِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ يونس: ٦٢. وذلك أن الله تعالى نفى عن أوليائه الخوف والحزن، ولما كان نبئهم المصطفى هو أخص أوليائه تعالى، أراد أن يبين له طريق التخلص من الحزن العارض له بسبب هموم الدعوة، فنهاه أن يحزن لقولهم، الذي فيه تكذيبهم له وإعراضهم عن دعوته، وذلك حتى يكتمل له ما وعد الله به أوليائه من عدم الخوف والحزن.

ويرى صاحب التحرير والتنوير<sup>٧٣</sup>: أن مقتضى الظاهر أن يُعطف عليه بفاء التفریع؛ لأن دفع هذا الحزن يتفرع على ذلك النفسي، ولكن عدل عنه إلى العطف بالواو؛ ليعطي مضمون الجملة المعطوفة استقلالاً بالقصد إليه؛ فيكون ابتداء كلام مع عدم فوات معنى التفریع؛ لظهوره من السياق. وذكر في روح المعاني قول من جعله معطوفاً على تلك الآية التي ذكرناها، ثم قال: "لكنه ليس بشيء"، ثم ذكر أن ما عليه الجمهور: أنه استئناف سيق تسلياً للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم، عما كان يؤذيه من مقالاتهم الفاسدة، وتبشيراً له بالنصر والعز. وهو يقصد بالاستئناف انقطاعه لفظاً؛ لأنه يقر باتصاله به معنى<sup>٧٤</sup>. وهو عين ما عناه صاحب التحرير والتنوير باستقلاله قصداً. والله أعلم.

وأما في يس: فيرى الطيبي اتصال الفاء بقوله تعالى: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ ﴾ يس: ٦٩؛ لأنه جواب من زعم أن القرآن شعر، وأن النبي شاعر. ووجه ارتباطه به: أنه تسلياً لرسوله الكريم؛ ليتأسى بربه تعالى؛ فإنه تعالى أغدق عليهم النعم وأراهم الآيات العظيمة الدالة على تفرده، ومع ذلك أشركوا معه غيره، فإذا كان كذلك فلا يحزنك قولهم<sup>٧٥</sup>. وذهب ابن عاشور إلى أنه مفرع على قوله: ﴿ وَأَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ إِلَهًا لَّهُمْ يُصْرُونَ ﴾ يس: ٧٤: بمعنى: تحذيره من أن يحزن

<sup>٧٢</sup> هذا ملخص ما وجهوا به: انظر: درة التنزيل للإسكافي ص ١٩٨ وما بعدها، وملاك التأويل لابن الزبير ٢٣١/١، والبرهان للكراماني ص ١٣٥، وكشف المعاني لابن جماعة ص ١٩٦،

وفتح الرحمن لكريا الأنصاري ص ٢٣٢.

<sup>٧٣</sup> انظر ما قاله ابن عاشور: ٢٢٠/١١.

<sup>٧٤</sup> انظر ما قاله الألوسي: ١٥٢/١١.

<sup>٧٥</sup> انظر: فتوح الغيب ٩٣/١٣.

لأقوالهم فيه؛ فإنهم قالوا في شأن الله ما هو أفضح<sup>٧٦</sup>. أي: إن كانوا قد اتخذوا آلهة من دون الله، فهذا يعني أنهم يقولون: إن آلهتهم شركاء لله، وهذا أفضح من قولهم للنبي: إنه شاعر، وإذا كانوا كذلك لا يتأدبون مع ربهم فلا يحزنك قولهم. ويمكن أن يُقال: إن اتخذهم آلهة من دون الله يعني: أنهم يقولون: هؤلاء آلهتنا، وهم يطلبون منهم النصر، وكان ذلك مما يُحزن النبي صلى الله عليه وسلم؛ فنهاه ربه ألا يتأثر لقولهم ولا يحزن. وكل هذه الأقوال محتملة، وكلها تؤكد ارتباطها بما قبلها، الذي لا يصلح له إلا الفاء. هذا ما وقفنا عليه من توجيه هذه المسألة، وقد أهملتها سائر ما اطلعت عليه من المصادر التي عناية بتوجيه المتشابهات اللفظية.

**المطلب الثاني: ما سبقته أداة نفي، وهو مسألتان:**

**المسألة الأولى: (أَوْلَمْ يَهْدِهِمْ - أَفَلَمْ يَهْدِهِمْ )**

عُظِفَتْ بِالْفَاءِ فِي: ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِهِمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ﴾ طه: ١٢٨. وعُظِفَتْ بِالْوَاوِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ أَوْلَمْ يَهْدِهِمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ السجدة: ٢٦

أما موضع طه فقد جاء قبله قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴾ (١١٥) قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ لَآيَاتُنَا فَنَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِي ﴿ ١١٦ ﴾ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ۖ. ومعنى نسيان الآيات ترك الاهتمام بها، ثم قرههم على نصبه لهدايتهم واحتج عليهم بتركهم الاهتمام بها بقوله: (أَفَلَمْ يَهْدِهِمْ)، أي: من تأتته آياتنا فعليه الاهتمام بها، وأنتم أتتكم آياتنا فلم توفوها حقها، فهلا فعلتم ما لزمكم منها؟ هذا ما ذهب إليه في درة التنزيل<sup>٧٧</sup>، فهو يرى أن الاستفهام تقريرى. وذهب صاحب التحرير والتنوير<sup>٧٨</sup> - بعد أن بين أنه تفرغ على هذا الوعيد المتقدم - إلى أن الاستفهام إنكاري تعجبي "مفرعاً على الإخبار بالمعيشة الضنك لمن أعرض عن توحيد الله؛ لأنه سبب عليه لا محالة، تعجيباً من حالة غفلة المخاطبين المشركين عما حلّ بالأمة المماثلة لهم في الإشراك والإعراض عن كتب الله وآيات الرسل". ويرى أبو السعود أنه كلام مستأنف مسوق لتقرير ما قبله من قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ ۖ ﴾، وأن الفاء عطف على مقدر يقتضيه المقام، أي: أغفلوا فلم يفعل الهداية لهم، أو أفلم يبين لهم مآل أمرهم كثرة إهلاكنا للقرن الأولى<sup>٧٩</sup>؟ وذهب في ملاك التأويل إلى أنه مستأنف كذلك، وردّ مورد ما يرد من الكلام

<sup>٧٦</sup> انظر: التحرير والتنوير ٧٢/٢٣.

<sup>٧٧</sup> انظر: ص ٢٩٦ و ٢٩٧.

<sup>٧٨</sup> انظر: ٣٣٤/١٦.

<sup>٧٩</sup> انظر تفسير أبي السعود ٤٨/٦.

النفاتاً، إلا أنه يُقر بارتباطه بما تقدمه من جهة المعنى، غير أنه ينكر أن تكون الفاء فيه للعطف<sup>٨٠</sup>. وقد عرفنا في التمهيد: أن الاستئناف يقصدون به انقطاع الكلام مما قبله لفظاً لا معنى، وقد مر بنا كذلك تحقيق ابن هشام: أن الفاء في ذلك كله للعطف. ومن كل ما سبق يتبين لنا ارتباط الكلام بما قبله، مما لا يصلح له إلا الفاء.

وأما في آية السجدة، فليس فيها هذا الارتباط بما قبلها: إذ الآيات قبلها تتحدث عن إتيان موسى -عليه السلام- الكتاب، وجعله هدىً لهم، و أنه جعل منهم أئمة يهدون بأمره، وأنه يفصل بينهم يوم القيامة فيما اختلفوا فيه؛ فكان منفصلاً مما قبله فجيء بالواو<sup>٨١</sup>. غير أن انفصاله مما قبله لا يعنى عدم وجود علاقة بما قبله، فما هي هذه العلاقة؟ يرى صاحب التحرير والتنوير<sup>٨٢</sup> أنه عطف على: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾ السجدة: ٢٢. وبيان ذلك باختصار: أن هذه الآية أوضحت ألا أظلم ممن أعرض عن التذكير، وهنا جاء قول الحق بأسلوب الاستفهام الإنكاري: أولم يبين لهم كثرة من هلك قبلهم من الأمم، فيعتبروا بهم؟ يعني: قد جاءهم ما يذكرهم ويهديهم، ولم يعتبروا. وإذا كان ذلك كذلك، فإن الآيات التي تحدثت عن بني إسرائيل ليست بمعزل عن هذا، لأنها تحدثت كذلك عما جاءهم من الهدى، فالكلام كله متصل ببعضه ببعض، إلا أنه لا يصلح فيه هنا إلا الواو، كما ترى. والله أعلم.

### المسألة الثانية: (أولم يسيراً - أفلم يسيراً)

عُطفت بالواو في ثلاثة مواضع: الأول: قوله تعالى: ﴿أولم يسيراً في الأرض فينظروا كيف كان عقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأناروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاهت لهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ الروم: ٩، والثاني: قوله تعالى: ﴿أولم يسيراً في الأرض فينظروا كيف كان عقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليماً قديراً﴾ فاطر: ٤٤. والثالث: قوله تعالى: ﴿أولم يسيراً في الأرض فينظروا كيف كان عقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وإناروا في الأرض فأخذهم الله يدوبهم وما كان لهم من الله من واق﴾ غافر: ٢١.

وعُطفت الجملة بالفاء في أربعة مواضع: الأول: قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم من أهل القرى أفلم يسيراً في الأرض فينظروا كيف كان عقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون﴾ يوسف: ١٠٩. والثاني: قوله تعالى: ﴿أفلم يسيراً في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنتها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ الحج: ٤٦. والثالث: قوله تعالى: ﴿أفلم يسيراً في الأرض

<sup>٨٠</sup> انظر: ملاك التأويل ٣٤٢/٢ و٣٤٣.

<sup>٨١</sup> انظر: درة التنزيل ٢٩٧.

<sup>٨٢</sup> انظر: ٢٣٩/٢١.

فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءِثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا آغَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ غافر: قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْمُكْفِرِينَ ٱمْتِلَٰهَآ﴾ محمد: ١٠.

وتوجيه ذلك بصورة عامة: أن كل موضع يكون مرتبطاً بما قبله جواباً له أو مبنياً عليه، فهو بالفاء. وكل موضع لم يصلح ما قبله أن يكون ما بعده جواباً له ولا مبنياً عليه، فهو بالواو. ويرى الخطيب: أن المواضع التي لم يتقدمها ما يقتضي الدعاء إلى السير والبعث على الاعتبار فإنها تكون بالواو، وأما التي تقدمها ما يقتضي ذلك فإنها تكون بالفاء: ففي سورة يوسف تقدمها قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ﴾، أي: "لم يكونوا إلا رجالاً أرسلوا إليه فخالفهم، فاعتبروا أنتم بآثارهم ومشاهدة ديارهم" <sup>٨٣</sup>.  
 "أي: فإن شاء هؤلاء فليسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ممن تقدمهم، فالكلام من حيث معناه، في قوة الشرط والجزاء؛ فورد بالفاء" <sup>٨٤</sup>.

وكذلك في الحج هو بعد قوله: ﴿فَكَآئِن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَبِئْرٌ مُّعْتَدِلَةٌ ۖ وَقَصِيرٌ مَّشِيدٌ﴾ الحج: ٤٥. وقد تقدمتها آيات تذكر بقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم. والمعنى: "فهلا ساروا في الأرض قاصدين الاعتبار، فعقلوا بقلوبهم وانتفعوا بأسماعهم وأبصارهم"، فناسبته الفاء؛ لما تعطيه من السببية والارتباط <sup>٨٥</sup>.  
 وأما الموضع الوارد في آخر غافر، وهو بالفاء كذلك، فقد تقدمه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ غافر: ٧٨، فهو في وصف من بُعث من الأنبياء ومجيء أمر الله فيمن خالفهم <sup>٨٦</sup>.  
 وأيضاً جاء قبلها: ﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ فَاَيُّ ءَايَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ﴾ غافر: ٨١، فيكون قوله تعالى (أفلم يسيروا) حثاً على السير في الأرض للاعتبار بما فيها <sup>٨٧</sup>.

وأما موضع سورة محمد صلى الله عليه وسلم، فإنه لم يتقدمه شيء من آيات الاعتبار، كما في الآيات السابقة، ولذا وجهه صاحب درة التنزيل بأنه تقدمته آيات تبين "أن أولياء الله منصورون، وأن الكفار مخذولون؛ فليعتبروا بمن تقدمهم

<sup>٨٣</sup> انظر: درة التنزيل ص ٢٤٢ و ٢٤٣.

<sup>٨٤</sup> ملاك التأويل ٢/٢٧٠.

<sup>٨٥</sup> المصدر نفسه.

<sup>٨٦</sup> انظر درة التنزيل ص ٢٤٤.

<sup>٨٧</sup> انظر: ملاك التأويل: ٢/٢٧٠.

في الكفر؛ ليعلموا أنهم صائرون إلى مثل حالهم<sup>٨٨</sup>. "فالملائم هنا الفاء؛ لما في الكلام من معنى التسبب والتخصيص المُحرزين هنا ما يلائم ويناسب مرتكبهم من التوبيخ، فالموضع للفاء المقصود بما ربط الكلام بما قبله"<sup>٨٩</sup>. وقد ظهر لنا ارتباط الآيات في المواضع السابقة بما قبلها، ولهذا استوجبت الفاء. أما المواضع التي سُبقت بالواو فلم يكن قبلها ما يصير جواباً له. وبيانه - باختصار - كالاتي:

في سورة الروم: عَطِفت على قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْفَكُوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ الروم: ٨؛ وهو عطف يفيد التشريك في الحض على الاعتبار، ولا سببية فيه؛ فناسبته الواو<sup>٩٠</sup>. وفي سورة فاطر: عَطِفت على قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُدَّتْ أَلْوَابًا﴾ فاطر: ٤٣؛ لاشتراكهما في الاعتبار مع اتحاد النوع المعبر به، فناسبته الواو كذلك<sup>٩١</sup>.

وأما الموضع الأول من غافر: فلم يتقدمه ما يدل على ارتباطه به إلا قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّل لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾ غافر: ١٣، لأن من آياته ما أجره من سنته في الأمم الماضية<sup>٩٢</sup>، إلا أنه قد فصل بينهما آيات كثيرة، فكان المناسب عطفه بالواو؛ لعدم ظهور الارتباط بما قبله.

### المطلب الثالث: المضارع الذي دخلته أداة شرط

وهو مسألة واحدة: (وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ - فَإِنْ يَكُنْ)

جاءت بالواو في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَدْرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ الأنفال: ٦٥.

وجاءت بالفاء في قوله تعالى: ﴿أَلَنْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلَّمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ الأنفال: ٦٦.

لم أجد من أشار لهذه المسألة في المصادر التي لها عناية بتوجيه المتشابهات. والأمر فيها واضح يظهر لنا بقليل من التدبر في سياق الآيات، وبما ذكره أهل التفسير: فقد أمر الله نبيه الكريم بتحريض المؤمنين، ووعدته وعداً كريماً أن تغلب كل جماعة من المؤمنين عشر أمثالها من الكفار<sup>٩٣</sup>. ويبيّن ذلك بذكره مجموعتين من المؤمنين مع مجموعتين من الكفار: عشرون

<sup>٨٨</sup> درة التنزيل ص ٢٤٤.

<sup>٨٩</sup> ملاك التأويل: الصفحة نفسها.

<sup>٩٠</sup> انظر: ملاك التأويل ٢/٢٧١.

<sup>٩١</sup> انظر: المصدر نفسه.

<sup>٩٢</sup> انظر: ملاك التأويل ١/٢٧١.

<sup>٩٣</sup> انظر: تفسير أبي السعود ٤/٣٤.

في مقابلة المائتين، ثم مائة في مقابلة الألف. وقد فهم من المجموعة الأولى: أن الواحد في مقابلة العشرة، ولكنه كرره مع المائة: "للدلالة على أن الحال مع الكثرة والقلة لا يختلف، فكما تغلب العشرون المائتين، تغلب المائة الألف"<sup>٩٤</sup>.

ولهذا كان عطف المجموعة الثانية لهذا الغرض؛ فليس فيه أكثر من العطف، الذي تصلح له الواو.

ثم إن وعده - تعالى - بنصر كل جماعة مقابل عشر أمثالها، يتضمن إيجاب ألا تفرّ الجماعة من عشر أمثالها؛ فثقل ذلك على المسلمين، فخفف عنهم بقوله تعالى: ﴿كَانَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾<sup>٩٥</sup>، ثم فسر لهم كيفية التخفيف<sup>٩٥</sup>، فأفادت الفاء تفريع التشريع على التخفيف<sup>٩٦</sup>. كأنه قيل: إن شق عليكم الصبر أمام العشرة، فقد خفف الله عنكم، فإن يكن منكم جماعة عددهم مائة فإنهم يغلبون مائتين، أي: إن الجماعة ينبغي ألا تفرّ من مثليها. وهذا ظاهر أنه موضع الفاء. والله أعلم.

#### المطلب الرابع: المضارع المجرد من أدوات النهي والنفي

##### المسألة الأولى: (وسيرى الله، فسيرى)

عُطِفَتْ بِالْوَاوِ فِي التَّوْبَةِ: ٩٤: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ بَيَّنَّا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾<sup>٩٥</sup>، وَعُطِفَتْ بِالْفَاءِ فِي التَّوْبَةِ: ١٠٥: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾<sup>٩٦</sup>.

ذهب في ملاك التأويل إلى أن الآية الأولى في المنافقين، والأخرى في جماعة من المؤمنين كان فيهم تقصير، وقيل: فيمن تاب من المخلفين. فالآية الأولى جاء قبلها: ﴿قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ بَيَّنَّا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾<sup>٩٥</sup>، وهذا تهديد لهم بأن الله مطلع على نفاقكم وسرائرهم، ثم عُطِفَ عَلَيْهِ تَهْدِيدٌ مِثْلَهُ، وَهُوَ قَوْلُهُ: (وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ)، "وقصد تعريفهم بالمجموع مما استوجبوا به المقت، ولم يُعْطَفَ بِالْفَاءِ؛ إِذْ لَيْسَ مَا تُعْطِيهِ مِنَ الْمَعْنَى مَقْصُودًا هُنَا"<sup>٩٧</sup>. وأقول: إن سياق الآيات يدل على أن هذه الآيات في جماعة من المنافقين، علم الله أنه سيموتون على نفاقهم؛ بدليل الآيات اللاحقة التي بينت أن مأواهم جهنم، ومن كان كذلك، فلا يُرْجَى إِيمَانُهُ. ولهذا كان قوله تعالى: (وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ) تهديداً لهم، أي: اعملوا ما تعملون من أعمال النفاق، وسيرى الله أعمالكم هذه وكذا رسوله، فلن تستطيعوا

<sup>٩٤</sup> فتح الرحمن لركبنا الأنصاري ص ٢٢٣.

<sup>٩٥</sup> انظر: تفسير أبي السعود ٣٥/٤.

<sup>٩٦</sup> انظر: التحرير والتنوير ٧١/١٠.

<sup>٩٧</sup> انظر: ملاك التأويل ٢٣٣/١ و٢٣٤.

إخفاءها عن الله ورسوله، وإن خفيت عن المؤمنين؛ ولهذا لم يُشرك المؤمنين في رؤية عملهم؛ لأنها من أعمال القلوب التي لا يطلع عليها إلا الله وحده. وبهذا يظهر لنا كيف أفادت الواو إشراك الجملتين في التهديد. وما ذكره العلامة ابن عاشور: من أن المقصود: فتح باب التوبة لهم، لا يُساعد عليه السياق، ولو كان كذلك لصلحت فيه الفاء، وهي كذلك في شرحه بالفاء؛ ولعله خطأ طباعي؛ إذ الظن به ألا يغفل عن مثل هذا<sup>٩٨</sup>.

وأما الآية الأخرى، فهي في جماعة من المؤمنين، تُرجى توبتهم، بدليل ما قبلها من قوله تعالى: ﴿وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ التوبة: ١٠٢. ولهذا لم يكن قوله (وقل اعملوا) في معنى التهديد، كما في الآية الأولى، وإنما هو أمرٌ لهم بالعمل لتلافي ما قصروا فيه من بعض ما أمروا به، من الجهاد وغيره. فلما كان هؤلاء يُرجى إيمانهم رتب عليه رؤية المؤمنين لأعمالهم مع رؤية الله ورسوله؛ لأن أعمال المؤمنين مرئية، وليست كالنفاق؛ ولهذا أشركهم في الرؤية بخلاف أعمال النفاق في الآية السابقة، كما مر. وعليه: فالفاء في (فسيرى) جوابٌ للأمر من قوله (اعملوا)، "وكان قد قيل تأنيباً لهم: اعملوا فلن يضيع عملكم"<sup>٩٩</sup>.

#### المسألة الثانية: (وَيَقُولُ - فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِي)

جاءت بالواو في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِي الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشْفِقُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ النحل: ٢٧. وجاءت بالفاء مكررةً في موضعين بسورة القصص ٦٢ و ٧٤: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِي الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾. هذه من المسائل المهملة في المصادر الموجهة للمتشابهات.

أما الآية الأولى في سورة النحل، فقد جاءت بعد قوله تعالى: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَنَّ اللَّهَ بَدَّبَ بِئِنَّهُمْ مِنَ الْفَوَاقِدِ فَنَحَرَ عَلَيْهِمْ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾، وفيها بين الله عاقبة الماكرين قبلهم، وضرب لأهل مكة مثلاً على مكرهم، بمن بنوا بنياناً فخرَ عليهم السقف، ثم بين أنهم أتاهم العذاب من حيث لا يشعرون، وهو عذاب في الدنيا، بدليل ما عُطف عليه من قوله تعالى: (ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ)، أي: يذلهم بعذاب الخزي على رؤوس الأشهاد، ويقول لهم فضحاً لهم وتوبيخاً: أين شركائهم...؟<sup>١٠٠</sup>. وهذا القول لهم إنما هو نوع من العذاب كذلك؛ لما فيه من الفضيحة والتوبيخ. ويظهر من هذا: أن المقصود هو تعديد هذه الأصناف من العذاب عليهم، فكانت الواو هي الأنسب لذلك.

<sup>٩٨</sup> انظر: تفسير التحرير والتنوير ٧/١١.

<sup>٩٩</sup> ملاك التأويل ٢٣٣/١ وما بعدها.

<sup>١٠٠</sup> انظر: تفسير أبي السعود ١٠٨/٥.

وأما الآيتان المكررتان في سورة القصص: فقد جاءتا بعد قوله: (ويوم يناديهم)، والنداء إنما يكون بالقول، ولهذا جاء مفسراً له، فكانت الفاء هي المناسبة له. هذا ما ظهر لي، ولم أجد من نبه عليه، والله أعلم.

## الفصل الثاني: ما جاء فيه بعد الواو والفاء اسم

وهو إما اسم موصول، أو أداة تكثير، فانتظم في مبحثين:

### المبحث الأول: ما جاء فيه بعد الواو والفاء اسم موصول

واسم الموصول إما أن يكون مبدوءاً به وإما أن يكون مُصَدَّرًا بأداة، فهما مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء فيه اسم الموصول مبدوءاً به.

وهما مسألتان:

#### المسألة الأولى: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى - فَمَنْ أَظْلَمُ)

عُطِفَتِ الْجُمْلَةُ بِالْوَاوِ فِي خَمْسَةِ مَوَاضِعَ:

**الأول:** ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ الأنعام: ٢١. **الثاني:** ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ الأنعام: ٩٣. **الثالث:** ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ هود: ١٨. **الرابع:** ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ العنكبوت: ٦٨.

**الخامس:** ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الصف: ٧.

وَعُطِفَتِ بِالْفَاءِ فِي أَرْبَعَةِ مَوَاضِعَ:

**الأول:** ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْإِنثَيْنِ أَمْ مَا اسْتَمَلْت عَلَيْهِ أَرْحَامَ الْإِنثَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْكُمُ اللَّهُ بِهِذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الأنعام: ١٤٤. **الثاني:** ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيحُهُمْ مِّنَ الْكُذِّبِ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ رَسُولُنَا يُتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا آيِنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ الأعراف: ٣٧. **الثالث:** ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ

الْمُجْرِمُونَ ﴿ يونس: ١٧. الرابع: ﴿ هَؤُلَاءِ قَوْمًا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ الكهف: ١٥.

اقتصر معظم الموجهين على المقارنة بين موضع الأنعام الأول [آية ٢١]، وبين موضع يونس. وذلك لأن التشابه اللفظي بينهما أكبر من غيرهما؛ إذ لم يختلفا إلا في الواو والفاء، وفي كلمتي (الظالمون) و(المجرمون). ورغم أن صاحب ملاك التأويل ذكر معظم المواطنين التي ذكرتها، ولم يفتته سوى ثلاثة: [هود ١٨، الأنعام ١٤٤، الكهف ١٥]، إلا أنه -رحمه الله - لم يبين وجه ورودها بالواو والفاء.

وسأبدأ بذكر وجه الاختلاف بين موضعي يونس والأنعام ٢١؛ ثم أتبعه بما يظهر لي -بعون الله وتوفيقه -ببقية المواضع. أما آية الأنعام [٢١]: فقد تقدمتها جملاً غُطف بعضها على بعض بالواو، لا تتعلق كلٌّ منها بما قبلها تعلق ما هو من سببها: (وَأَوْحَىٰ إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ) (وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ) (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) ١٠١؛ فناسبها الواو دون الفاء.

وأما آية يونس: فقد تقدمتها معطوفات بالفاء: (فَقَدْ لَبِثْتُ)، (أَفَلَا تَعْقِلُونَ). وبيانه: إن كونه -عليه السلام - أمياً وأتاهم بكتاب أعجز بلغاءهم، وفيه من التشريع وأخبار السابقين ما لا عهد لهم به، مع نشأته بينهم وعدم مخالطته أهل كتاب ولا غيرهم، دليلٌ ظاهرٌ على أن هذا القرآن ليس من عنده. ولهذا نعى عليهم عقولهم، كيف لم يفتنوا لهذا؟! وهذا ظاهر أنه "تفريعٌ للإنكار والتعجب على نحو الدليل عليهم؛ إذ قد ظهر من حالهم ما يجعلهم كمن لم يعقل" ١٠٢. "أي: ألا تلاحظون ذلك فلا تعقلون امتناع صدوره من مثلي، ووجوب كونه منزلاً من عند الله؟" ١٠٣. وكذا قوله تعالى:

(فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) ، هو مرتب على ما سبق، أي: إذا علمتم كون القرآن بمشيئة الله وأمره، فمن أظلم ممن افتري على الله كذباً، أي: ليس هناك من هو أظلم ممن اختلق على الله كذباً، فكيف أجرؤ على اختلاق قرآن مثله أو تبديله كما طلبتم؟! هذا ما يظهر من السياق، وإليه ذهب أبو السعود؛ ١٠٤، وذهب غيره إلى أنه يشير إلى افتراء أهل مكة؛ لكونهم كانوا أفصح العرب وأهل بلاغة، وقد علموا أن مثل هذا الكلام لا يمكن أن يكون من قول بشر، بدليل عجزهم عن الإتيان بمثله، ومع ذلك فقد طلبوا منه تغييره أو تبديله. وتقديره: وإذ قد تبين لكم صدق هذا النبي ومع ذلك نسبتموه إلى الكذب بطلبكم منه تغييره وتبديله، فلا أحد أظلم منكم في افتراءكم على الله هذا الكذب ١٠٥. وأقول: لا مانع من إرادة المعنيين؛ وذلك: أن قوله (فَمَنْ أَظْلَمُ) جاء عاماً لكل من يختلق كذباً، فيدخل فيه هؤلاء، مع

١٠١ انظر: درة التنزيل ١١٤.

١٠٢ التحرير والتنوير ١١/١٢٢.

١٠٣ تفسير أبي السعود ٤/١٣٠.

١٠٤ انظر: تفسيره ٤/١٣١.

١٠٥ انظر: ملاك التأويل ١/١٥٠.

ما فيه من التبرئة لرسول الله أن يفترى على الله كذباً؛ لعلمه بأن لا أظلم ممن يفعل ذلك. وعلى كلا المعنيين، فإن الكلام مرتب على ما قبله؛ فناسبته الفاء. والله أعلم.

أما الآيات الأخر فمما جاء بها بالواو موضع الأنعام ٩٣: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ ، فقد قيل: إنها نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وقيل في مسيلمة الكذاب<sup>١٠٦</sup>. وهي - وإن كانت نزلت لأسباب خاصة - فلفظها عام شامل لكل من افتري على كذباً، ويدخل فيه عموم المشركين. وإذا نظرنا لسياق الآيات قبلها، نجد لها علاقة بقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ الأنعام: ٩١، وهذا من افتراءهم بلا شك، فرد الله عليهم بما يعلمونه من نزول التوراة على موسى عليه السلام، ثم ذكر لهم - بعد تمام الحجة - هذا الكتاب المبارك، وهو القرآن، ثم عطف عليه - في حكم عام - كل من يفترى على الله كذباً؛ فلم يكن ما قبله مسيئاً عنه أو معقباً عليه، فلم تصلح له الفاء، فعُطف بالواو.

وأما موضع هود: ١٨، فإنه جاء بعد أن أبطل زعمهم: أن النبي افتري القرآن، فبين لهم أنهم هم المفترون؛ فعُطف على قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ، مِنَ الْأَحْزَابِ فَالْتَأَرْ مَوْعِدُهُ﴾ هود: ١٧؛ لبيان استحقاقهم النار على كفرهم بالقرآن؛ لأنهم كفروا به افتراءً على الله، إذ نسبوا القرآن إلى غير من أنزله. وبهذا كانوا بالغين غاية الظلم، فجاء عنهم سؤال الإنكار هذا، الذي معناه: لا أحد أظلم<sup>١٠٧</sup>. وبهذا يظهر وجه عطفه بالواو؛ فليس للفاء مكان هنا.

وأما موضع العنكبوت: ٦٨، فقد جاء تذييلاً يجمع ما شئعه الله عليهم من أحوالهم، التي يعترفون فيها بأن الله هو من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر، وأنه هو الذي ينزل الغيث، وأنه هو وحده الذي يتوجهون إلى دعائه حين يركبون الفلك، فبين الحق لهم: أن لا أحد أظلم من هؤلاء الذين افتروا على كذباً وكذبوا بالحق لما جاءهم. فجاءت هذه معطوفة على جملة شنائعهم التي مرّ تفصيلها، وهذه لا يصلح لها غير الواو.

بقي من المعطوفات بالواو قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الصف: ٧؛ قال في التحرير والتنوير: "المراد من هذا الاستفهام هم الذين كذبوا النبي صلى الله عليه وسلم، ولذلك عُطف هذا الكلام بالواو ودون الفاء؛ لأنه ليس مفرعاً على دعوة عيسى عليه السلام<sup>١٠٨</sup>. أي: إن الآية قبله كانت تتحدث عن سيدنا عيسى عليه السلام، وكيف أنه لما جاءهم بالبينات قالوا: هذا سحرٌ مبين. فلما كان قولهم هذا شبيهاً بقول كفار مكة - وقد جاء بعد ذكر الرسول الموعود به، وهو نبيُّنا الكريم - ناسبه أن يذكر فيه ظلم هؤلاء الذي أنكروا دعوته، فعطفه بالواو دون الفاء. أي: لو عُطف بالفاء لكان مختصاً بقول المنكرين من أهل الكتاب دون المشركين.

<sup>١٠٦</sup> انظر: تفسير الطبري ٢٧٣/٧، وانظر: تفسير البغوي ١٦٨/٣.

<sup>١٠٧</sup> انظر: التحرير والتنوير ٣٢/١٢.

<sup>١٠٨</sup> ابن عاشور: ١٨٨/٢٨.

ويلاحظ أن الآيات كلها جاءت فيها كلمة (كذباً) نكرةً، ما عدا موضع الصف، حيث جاء معرّفًا؛ وذلك لأنه صرح فيه بافترائهم حيث قالوا: (سحرٌ مبين)، فجاء معرّفًا بأداة العهد؛ ليقوم مقام الوصف، أي: هذا الكذب الذي لا امتراء فيه. ولم يرد افتراءهم مفصلاً في السور الأخرى فجاء منكرًا<sup>١٠٩</sup>.

وأما الآيات التي عطفت بالفاء، فقد مضى ذكر موضع يونس، وبقي ثلاثة مواضع، منها: موضع واحد جاءت فيه (فَمَنْ أَظْلَمُ) في صدر الآية، وهي آية الأعراف، والآخران جاءا في وسط الآية.

أما آية الأعراف ٣٧: فهي مرتبة على ما قبلها، وذلك: أن الله سبحانه ذكر افتراءهم عند فعلهم الفاحشة، وزعمهم أن الله أمرهم بها، وكذلك تحريمهم الطواف في ثيابهم، بزعمهم أن الله حرّم عليهم الطواف في ثيابهم، فرد الله عليهم ذلك، وبيّن لهم أن الله حرّم الفواحش كلها ظاهرها وباطنها، وكذا الإثم والبغي وكذا قوّمهم على الله ما لا يعلمون، أي: افتراءهم عليه في تحريم ما أحل وتحليل ما حرّم. ثم بين لهم عاقبة الأمم حين جاءتهم الرسل، وأنهم أحدُ فريقين: فريق اتقى وأصلح فكان عاقبته الأمن من الخوف والحزن، وفريق كذب واستكبر عن آياته ربه فكان من أصحاب النار. ثم فرّع على هذا: (فمَنْ أَظْلَمُ....)، بمعنى: إذا كان مصير المكذبين المستكبرين النار، فإن من أكثر الناس ظلمًا الذين يفترون على الله كذبًا؛ فيُحرّمون ما أحل الله ويحلّون ما حرّم الله، فلا أحد أظلم منهم. وهذا ما دلّ عليه الاستفهام الإنكاري. فبان من هذا ارتباط هذا الكلام بما قبله أشد الارتباط، فناسبته الفاء. والله أعلم.

وأما آية الأنعام ١٤٤: فارتباطها بالفاء واضح جلي، وذلك أنها جاءت ردًا على المشركين في تحريمهم بعض أنواع الأنعام، فكان قوله: (فَمَنْ أَظْلَمُ) مترتبًا على الإنكار في قوله: (قُلْ أَلَدَّكَّرِينَ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثِيَيْنِ)؛ فيترتب على ذلك الإبطال: أن يتوجه سؤالٌ مشوبٌ بإنكار، عمن اتصف بزيادة ظلم الظالمين الذين كذبوا على الله ليضلوا الناس: أي: لا أحد أظلم ممن افتري على الله كذبًا. وهؤلاء قد ثبت افتراءهم الكذب، فكانوا أظلم الظالمين<sup>١١٠</sup>.

بقي موضع الكهف ١٥: فقد جاء في سياق قول أصحاب الكهف: ينعون على قومهم اتخاذهم آلهة من دون الله، دون حجة ولا دليل، وهو افتراءٌ على الله، فلا أحد أظلم ممن يفعل ذلك، فاستفهامهم الإنكاري مُرتبٌ على اتخاذ قومهم آلهة دون دليل لهم على ذلك، وإذا كان كذلك، فهذا الربط أداته الفاء، كما لا يخفى. والله أعلم.

### المسألة الثانية: (وَمَا - فَمَا أُوتِيتُمْ)

جاءت بالواو في: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّا لَهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ القصص: ٦٠. وبالفاء في: ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ الشورى: ٣٦.

<sup>١٠٩</sup> انظر: ملاك التأويل ١/١٥١.

<sup>١١٠</sup> انظر: التحرير والتنوير ٨/١٣٤ و١٣٥.

أما آية القصص: فإن الآيات قبلها تدل أن نفرًا من كفار قريش اعتذروا عن اتباع الهدى الذي جاءهم به نبيهم: بأنهم يخافون أن يتخطفهم الناس لقتلهم، فردَّ الله عليهم: أنه مكن لهم حرماً آمناً حرم عليهم فيه سفك الدماء ومنعهم من أن يتناولوا سكانه بسوء<sup>١١١</sup>، ثم عطف عليه تخويفهم بما جرت به سنته في القرى التي بطرت معيشتها، وعطف على ذلك: أن هلاكهم لم يأتهم إلا بعد إرسال الرسل وبسبب ظلمهم، ثم عطف عليه تحقير متاع الدنيا وزينتها الذي أوتوه من الأمن والرزق، حتى يسئل من قلوبهم ما كان سبباً في إعراضهم، وهو خوفهم على أنفسهم وأموالهم، فتبين بهذا وجه عطف هذه الجملة على قبلها، وأنها جاءت بالواو لهذا الغرض، الذي يفيد العطف دون تعقيب أو تسيب.

وأما آية الشورى: فقد تقدمها بسط الله الرزق لعباده، في آيات متفرقة، أولها: ﴿يَسُطُّ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ﴾<sup>١١٢</sup> ، وبعدها: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ﴾<sup>١١٣</sup> ، وتلتها آية تحقر حرث الدنيا لمن يريدتها، وتحض على حرث الآخرة، ثم تلاها: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَعَثُوا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ﴾<sup>١١٤</sup> ، فكان كل ذلك تمهيداً ليُفرَّج عليه قوله: (فما أوتيتم..!)؛ أي: أنكم قد علمتم أن الله هو الذي يبسط الرزق ويقدره، وأن من يريد حرث الدنيا يؤتى منها، ولكنه يُجرم من نعيم الآخرة، فما أوتيتموه من رزق فهو متاع زائل، وأن الذي يبقى هو ما ادَّخره الله للمؤمنين يوم القيامة<sup>١١٥</sup>. وكذلك لهذه الآية اتصال بالآيات القريبة منها، التي تدل على نعمة الله عليهم بالأمن والسلامة من أهوال البحر، بعد أن أشرفوا على الهلاك؛ فعقب ما لهم من الخوف بما أوتوه من الأمانة والسلامة، فصلحت له الفاء<sup>١١٦</sup>.

**المطلب الثاني: ما جاء فيه اسم الموصول مسبوقة بأداة**  
وهو مسألة واحدة:

**مسألة: (فَأَمَّا مَنْ - وَأَمَّا مَنْ)**

- جاء بالفاء في موضعين: **الأول**: قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، فَيَقُولُ هَآؤُمِ اقْرَءُوا كِتَابِيَهٗ﴾<sup>١١٧</sup> الحاقة: ١٩.
- الثاني**: قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾<sup>١١٨</sup> الانشقاق: ٧ - ٨.
- ومسبوقة بالواو في موضعين: **الأول**: قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ، بِشِمَالِهِ، فَيَقُولُ يَلِّتُنِي لِمَ آوَتَ كِتَابِيَهٗ﴾<sup>١١٩</sup> الحاقة: ٢٥.
- الثاني**: قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ، وَرَأَى ظَهْرَهُ، ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا﴾<sup>١٢٠</sup> الانشقاق: ١٠ - ١١.
- هذه المسألة مهملة في جميع ما اطلعت عليه من المصادر التي لها عناية بتوجيه المتشابهات.

<sup>١١١</sup> انظر: تفسير الطبري ٩٣/٢٠.

<sup>١١٢</sup> ذكر ابن عاشور قريباً من هذا، إلا أن تفرعيه كان مرتبطاً بالآية الأخيرة [٢٧] وحدها، انظر: التحرير والتنوير ١٠٩/٢٥.

<sup>١١٣</sup> انظر: درة التنزيل ٣٤٥.

أما المُصَدَّر بالفاء في سورة الحاقة؛ فلأنه تفصيل لأحوال العرض في قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ الحاقة: ١٨؛ إذ المراد به عرض الحساب والجزاء. وإيتاء الكتاب أن يوقف كل واحد على صحيفة أعماله. "و(أما) حرف تفصيل وشرط، وهو يفيد مفاد (مهما يكن من شيء)، والمعنى: مهما يكن عَرْضُ فَمَنْ أوتِيَ كتابه بيمينه فهو في عيشة راضية"<sup>١١٤</sup>. وأما الآخر المسبوق بالواو في الحاقة؛ فلأنه عطفٌ على ما قبله، وهو قسيم للأول: فقد ذكر أولاً من أوتي كتابه بيمينه، ثم عطف عليه من أوتي كتابه بشماله. وهذا إنما يصلح له الواو.

وكذلك في سورة الانشقاق: جاءت الفاء في الأولى؛ لأنها تفصيل لجزاء الإنسان على كدحه، ثم عطف عليه قسيمه، وهو من يُؤْتَى كتابه وراء ظهره، فناسبته الواو. والله أعلم.

### المبحث الثاني: ما جاء فيه بعد الواو والفاء أداة تكثير.

وأداة التكثير التي جاء الاشتباه فيها هي (كأَيْن)، فانحصر المبحث في مطلب واحد ومسألة واحدة:

#### (فَكَأَيْنَ مِنْ قَرِيْبَةٍ - وَكَأَيْنَ).

جاءت بالفاء في: ﴿فَكَأَيْنَ مِنْ قَرِيْبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيْهَا خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبْرُؤُا مُعْطَلَةٌ وَقَصْرِ مَشِيْدٍ﴾ الحج: ٤٥، وبالواو في: ﴿وَكَأَيْنَ مِنْ قَرِيْبَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتَهَا وَإِلَى الْمَصِيْرِ﴾ الحج: ٤٨.

أما الأولى التي بالفاء: فهي بدلٌ من قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيْرٍ﴾ الحج: ٤٤. أي: كيف كان إنكاري عليهم؟ وهو إنكار تضمن زجراً وتعجباً من تبدل نعمتهم التي كانوا فيها: كيف انقلبت إلى هلاكهم وخراب ديارهم<sup>١١٦</sup>. وعند النظر في الآيات قبلها: يظهر لنا أن تكذيب القوم لرسولهم هو السبب في إملاء الله لهم ثم أخذهم: فعطف (ثم أخذهم) على (فأمليتُ)، وجاءت الفاء في (فكيف كان نكير) للتعقيب لا غير، أي: استحضاراً للسامع مما يُتَعَجَّب له من الاستفهام عن حال تلك الأخذة، ثم عطف بقوله: (فكأين من قرية)؛ تفسيراً له، ليكشفه كشفاً تاماً، أو يبدل منه إيضاحاً، كما يراه صاحب الكشاف<sup>١١٧</sup>. وهذا هو الترتيب الذكري، الذي يُفصّل فيه ما ذكر مجملاً؛ فالإملاء لكثير من القرى، ثم أخذها يفسر كيفية نكير الله وغضبه عليهم؛ فناسبه حرف التفرع<sup>١١٨</sup>.

والواو في الثانية عطف على الجملتين المعطوفتين بالواو قبلها<sup>١١٩</sup>، وهما قوله: (وَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ وَعْدَهُ) وقوله: (وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ)، وهما معطوفتان على قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ الحج: ٤٧. أي:

<sup>١١٤</sup> التحرير والتنوير ١٢٩/٢٩.

<sup>١١٥</sup> الكشاف للزمخشري في صدر فتوح الغيب ٥٠٣/١٠. وانظر: كشف المعاني ص ٢٦٣.

<sup>١١٦</sup> انظر: فتوح الغيب ٤٩٧/١٠. وانظر: التحرير والتنوير ٢٨٤/١٧.

<sup>١١٧</sup> هذا معنى ما عطف به الإمام الطيبي في فتوح الغيب ٥٠٣/١٧.

<sup>١١٨</sup> انظر: التحرير والتنوير ٢٨٥/١٧.

<sup>١١٩</sup> هذا قول الزمخشري، انظر: فتوح الغيب ٥٠٣/١٠.

أخبر عن استعجالهم العذاب، وعن أن الله تعالى لا يخلف وعده، وعن أنه حليمٌ لا يعجل، وعن أن لهم أسوةً بالأمم الظالمة إذا لم يَعتبروا بها<sup>١٢٠</sup>. فالواو -على هذا- هي واو العطف، وهذا ما ذهب إليه الزمخشري، كما فسره الإمام الطيبي، وذهب هو إلى أن الواو للحال، قال: "كيف يستعجلونك بالعذاب؟ والحال أنه لا بُدَّ أن يُصيبهم ما وعد ربُّك، وإن ذلك عن قريب، أو أن الموعد شديدٌ مُرُّ المذاق، وأن سنة الله في الإنظار ثم الاستئصال جاريةٌ في الأمم الخالية، فماذا يستعجلُ منها المجرمون؟"<sup>١٢١</sup>. وعلى كلا المعنيين فالواو هي التي تصلح، فوضح الفرق بين الآيتين.

### خاتمة البحث:

لقد منَّ الله الكريمُ بفضله بإكمال هذا البحث، رغم ضيق الوقت وكثرة المشاغل، فله الحمدُ أولاً وآخراً، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً. وفيما يلي أهم نتائج البحث وتوصياته:

### نتائج البحث:

- جمع البحث - في حدود الطاقة البشرية - كل ما اشتبه لفظه من الآيات القرآنية بين الواو أو الفاء؛ فحقق بذلك فائدة كبيرة لحفظه القرآن، الذين تشبته عليهم آياته بسبب ذلك.
- أوضح البحث المعاني المشتركة والمختلفة بين الواو والفاء إجمالاً: فبين أنهما يشتركان في إشراك المتعاطفين لفظاً ومعنى، وفي الاستئناف، الذي يُراد منه الانقطاع لفظاً لا معنىً، وتنفرد الواو بمجيئها للحال، وللقسم، وبمعنى (مع)، وتنفرد الفاء بربطها للجواب، وإفادتها التعقيب والترتيب والسببية.
- قُسم البحث تقسيماً نحوياً؛ ليكون أقرب لضم النظائر إلى بعضها: فاشتمل على فصلين رئيسين: حُصص الأول للأفعال المعطوفة، والثاني للأسماء المعطوفة، وتفرعت إلى خمسة مباحث، لكل مبحث مطالب، ولكل مطلب مسائل، فانتتهت مسائله إلى تسع وعشرين مسألة.
- كشف البحث عن أربع عشرة مسألة، أغفلتها المصادر الموجهة للمتشابهات. وقد أمكن الوصول إلى توجيهها بالاستعانة ببعض كتب التفسير، وبسياقها العام، ودلالة ألفاظها.
- بيّن البحث وجه كلِّ ما جاء منها بالفاء وأنه لا تصلح له الواو، ووجه ما جاء منها بالواو، وأنه لا تصلح له الفاء، وإن كان بعض توجيهاته لا يُهتدى إليها إلا بعد تدقيق وتحقيق.
- وإذ قد تبين أن كل حرف قد وُضع موضعه اللائق به، دلَّ ذلك على أنه من لدن حكيمٍ عليم، لا تخفى عليه خافية. وهذا ما يُفَسِّر لنا محافظة الأمة على ألفاظ القرآن؛ بنقلها نقلاً متواتراً عبر حقب التاريخ المختلفة.

<sup>١٢٠</sup> فتوح الغيب ١٠/٥٠٤.

<sup>١٢١</sup> المصدر نفسه ١٠/٥٠٣ و٥٠٤.

## التوصيات:

- يُرجى أن تتوجه عناية الباحثين، المختصين بعلوم القرآن، لبذل المزيد من البحث في المتشابهات اللفظية؛ فإنها ما زالت بكراً، رغم ما للسابقين فيها من جهود طيبة.
- كما يُرجى أن تُنظّم مؤتمرات خاصة بالمتشابهات اللفظية حتى تنال حظها من العناية والرعاية.

## المصادر والمراجع:

- أسرار التكرار في القرآن المسمى (البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان)، تاج القراء محمود بن حمزة الكرمانى، دراسة وتحقيق: عبد القادر أحمد عطا، مراجعة أحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة.
- البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان [هو المشهور من اسم الكتاب المذكور أعلاه].
- تفسير أبي السعود، المسمى: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، قاضي القضاة أبو السعود محمد بن محمد العمادي الحنفي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط ٤ / ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م.
- تفسير البغوي (معالم التنزيل)، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، حققه وخرّج أحاديثه: محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٠٩ هـ.
- تفسير التحرير والتنوير، سماحة الأستاذ الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤ م.
- تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل القرآن)، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط ٣ / ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م.
- تفسير الفخر الرازي، المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، الإمام محمد الرازي فخر الدين بن العلامة ضياء الدين عُمر المشتهر بخطيب الري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م.
- تفسير القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان ١٩٦٥.
- درة التنزيل وغرة التأويل، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني، المعروف بالخطيب الإسكافي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط ٤، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م.
- رصف المباني في شرح حروف المعاني، الإمام أحمد بن عبد النور المالقي، تحقيق: أ.د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط ٣، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢ م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، إدارة الطباعة المنيرية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

- شرح مغني اللبيب، المسمى (شرح المزج)، الدماميني محمد بن أبي بكر بن عمر، دراسة وتحقيق: د/ عبد الحافظ حسن مصطفى العسيلي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط ١ / ١٤٢٩هـ / ١٣٦٠م.
- فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، شيخ الإسلام الإمام أبو يحيى زكريا الأنصاري، حققه وعلق عليه الشيخ محمد علي الصابوني، مكتبة الصابوني، ط ٢، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- فتوح الغيب في الكشف عن قناع الرّيب، وهو حاشية الطّبيّ على الكشاف، الإمام شرف الدين الحسين بن عبد الله الطّبيّ، حققه جماعة من العلماء، الإشراف العام: د/ محمد عبد الرحيم سلطان العلماء، جائزة دبي الدّولية للقرآن الكريم، ط ١، ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م.
- قطف الأزهار في كشف الأسرار، الإمام جلال الدين السيوطي، تحقيق ودراسة: د. أحمد بن محمد الحمادي، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، إدارة الشؤون الإسلامية، دولة قطر، ط ١ / ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.
- الكتاب، كتاب سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٣، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- كشف المعاني في المتشابه من المثاني، شيخ الإسلام بدر الدين بن جماعة، تحقيق: د. عبد الجواد خلف، سلسلة منشورات جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي، باكستان، توزيع مكتبة ابن تيمية، ط ١، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعراب، الإمام أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري المصري، تحقيق: محمد محي الدين، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.
- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، الإمام أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الرّبير الثقفي الغرناطي، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.